الصفات السلبية، وصفات المعاني عند سلطان العلماء "العز بن عبد السلام" المتوفى ٦٦٠هـ، عرض، وتحليل

د/أحمد سيد يونس عويس فرحان

مدرس العقيدة والفلسفة– كلية أصول الدين– القاهرة

الصفات السلبية، وصفات المعاني عند سلطان العلماء "العز بن عبد السلام" المتوفى ٦٦٠هـ، عرض، وتحليل

أحمد سيد يونس عويس فرحان

قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكترونيahmed younis younis 01@gmail.com

الإيميل الجامعي:ahmed ewais.2011@azhar .edu.eg

ملخص البحث:

إن الفكر الإسلامى عمومًا، والعقدي منه خصوصًا حلقات متراصة البنيان، متَّصلة الأمشاج يؤثر السابق فيها في اللآحق، ويظهر هذا التأثير وتعظم أهميته إن كان بين أصحاب العلوم المختلفة، وعليه فقد جاءت هذه الدراسة مستهدفة إلقاء الضوء على قضية الصفات السلبية وصفات المعاني عند أحد أعلام الإسلام، ألا وهو سلطان العلماء "العز بن عبد السلام" المتوفى ٦٦٠هـ، والتي جاءت آرائه واضحة وصريحة في بيان مذهب أهل السنَّة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية في عدة قضايا عقدية هامة: كقضية الصفات السلبية، وصفات المعاني، وتعلقاتها، وقضية تنزيه الباري عن مماثلة الحوادث، وقضية استواء الله على عرشه، وقضية القرب الإلهي، كذلك استهدف البحث بيان بُعْد مذهب الحشوية من أهل الإثبات عن مذهب أهل السنة والجماعة، وعن مذهب السلف الصالح من الأشاعرة والماتريدية في مثل هذه القضايا، كذلك استهدف البحث بيان منهج "العز بن عبد السلام" في مسألة صفة الكلام الإلهي، واختلاف مذاهب العلماء حول بيان حقيقة هذا الكلام هل يكون بحرف وصوت كما يدعي البعض، أم لا، وهل قائم بذاته تعالى، أم لا، وقد اتبع البحث منهج العرض والتحليل لآراء الإمام العز بن عبد السلام، ولغيره من العلماء ممن تناولهم البحث، ومن أهم نتائج البحث اعتماد سلطان العلماء على منهجيِّ التفويض والتأويل في عرضه لآرائه العقدية فيما تعلق بموضوع البحث، كذلك تأثره في عرضه لآرائه العقدية بطريقة المناطقة، والمتكلمين، خصوصًا الشيخ الأشعري، والقاضي الباقلاني، والجويني، كذلك نقده لمذهب الحشوية في فهمهم لمسائل العقيدة ، وقد بدا ذلك جليًا في مناقشتهم لصفة الكلام الإلهي، وإيراد الشبه، والرد عليها.

الكلمات المفتاحية: سلطان العلماء، العز بن عبد السلام، الصفات السلبية، صفات المعاني، الكلام الإلهي.

Research Summary
Negative Attributes and Meanings of the Sultan of Scholars “Al-Izz bin Abdul Salam” who died in 660 AH, Presentation and Analysis
Ahmed Sayed Younis Awis Farhan
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion in Cairo, Al-Azhar University, Egypt
Email: 01@gmail.com younis ahmed younis
University Email: ahmed ewais.2011@azhar .edu.eg
Research Summary:
Islamic thought in general, and the doctrinal thought in particular, are tightly-knit, interconnected links in which the former influences the latter. This influence becomes apparent and its importance increases if it is among the people of different sciences. Accordingly, this study aims to shed light on the issue of negative attributes and meaning attributes in the view of one of the scholars of Islam, namely the Sultan of Scholars "Al-Izz bin Abdul Salam" who died in 660 AH, whose opinions were clear and explicit in explaining the doctrine of the people of the Sunnah and the community from the Ash'aris and Maturidis in several important doctrinal issues: such as the issue of negative attributes, meaning attributes, and their connections, the issue of the exoneration of the Creator from similarity to incidents, the issue of God's ascension to His throne, and the issue of divine proximity. The research also aims to show the distance of the doctrine of the literalists from the people of proof from the doctrine of the people of the Sunnah The group, and the doctrine of the righteous predecessors of the Ash'ari and Maturidi schools in such issues, also the research aimed to clarify the approach of "Al-'Izz bin Abd al-Salam" in the issue of the attribute of divine speech, and the difference of scholars' doctrines about clarifying the truth of this speech, whether it is with letters and sounds as some claim, or not, and whether it is self-sufficient or not, and the research followed the method of presentation and analysis of the opinions of Imam Al-'Izz bin Abd al-Salam, and other scholars who were covered by the research, and one of the most important results of the research is the reliance of Sultan al-'Ulama on the methods of delegation and interpretation in presenting his doctrinal opinions regarding the subject of the research, as well as his influence in presenting his doctrinal opinions by the method of logicians and theologians, especially Sheikh al-Ash'ari, Judge al-Baqillani, and al-Juwayni, as well as his criticism of the doctrine of the literalists in their understanding of matters of faith, and this appeared clearly in their discussion of the attribute of divine speech, and the presentation of doubts, and the response to them.
Keywords: Sultan al-'Ulama, Al-'Izz bin Abd al-Salam, negative attributes, .attributes of meanings, divine speech

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وارزقنا الإخلاص لوجهك الكريم، وبعد:

فإن قضايا العقيدة الإسلامية، ومناهج العلماء في التوصل إلى فهم صحيح لها هو من أهم مطالب وأبواب العلم الشرعي النافع، وجوهره الفارق بين أهل السنَّة والجماعة من الأشعرية والماتريدية من جهة، وبين غيرهما من أهل الإثبات، أو الحشو من جهة أخرى؛ إذ عليها مدار الفهم الصحيح لذات الباري، وصفاته، هذه الذات المقدسة التي تحظى بجانب كبير في دراسة علم التوحيد، وهو"جانب الإلهيات"، والذي يدور محور الحديث فيه على إثبات كل كمال لله – تعالى–، وتنزيهه عن كل نقص، وقد وضع القرآن الكريم الأساس لذلك، قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]،ولم يزل هذا هو معتقد السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم من أئمة الفقه، والحديث،"وأهل السنَّة والجماعة من الأشاعرة، والماتريدية"[2] حتى وُضعت

(1) سورة الشورى. عجز الآية ١١.

(2)"أهل السنة والجماعة هم بالاستقراء ثلاث طوائف:–**أهل الحديث**، ومعتمد مبادئهم الأدلَّة السمعية من الكتاب، والسنَّة، وكذلك الإجماع، **أهل النظر العقلي**، **والصناعة الفكرية**، وهم الأشعرية، والماتريدية، وشيخ الأشعرية: أبو الحسن الأشعري، وشيخ الماتريدية: أبو منصور الماتريدي،**أهل الوجدان والكشف**، وهم: الصوفية، ولْيُعلم أن كلاً من الإمامين أبي الحسن، وأبي منصور –رضي اللَّه عنهما، وجزاهما عن الإسلام خيرًا– لم يبتدعا من عندهما رأيًا، ولم يشتقا مذهبًا، إنما هما مقرران لمذاهب السلف، مناضلان عما كان عليه أصحاب رسول

العقائد الدينية موضع البحث، والنظر، وتعددت الاتجاهات، واختلفت المشارب في تناول مسائل العقيدة الإسلامية ؛ بما طرأ على المجتمع الإسلامي من تطورات، وتغيرات لوَّثت عقول البعض ببعض ألوان التشبيه، والتجسيم التي ورثوها من معتقداتهم القديمة، فبدأ الخلاف، وشبَّ النزاع في فهم بعض مسائل العقيدة الإسلامية، وقضاياها المهمة، وكان من أبرز هذه القضايا العقدية التي وقع الخلاف حولها قضية الصفات الإلهية، ومحاولة فهم حقيقة المراد من هذه الصفات، وتعلقاتها، وما هى المناهج المتبعة في فهم المراد من هذه الصفات، والتي قد يوهم ظاهرها تشبيه الخالق بالمخلوق.

ونحن إذ نتناول مثل هذه القضايا في هذا البحث، فإنا نتناولها من خلال عرضنا لرأى عَلَم من أعلام الأمَّة الأوائل ، وفضلائها، من الذين كان لهم إسهام كبير في شتى فروع العلم، والمعرفة، فقد كان–رحمه الله– فقيهًا بالدرجة الأولى، وعالم عقيدة أشعري بنفس درجة فقهه" ألا وهو سلطان العلماء "العز بن عبد السلام" المتوفى عام ٦٦٠هـ، والذي جاءت مؤلفاته الكلامية تبرز انتمائه العقدي، كعلم من أعلام المنهج الأشعري بطريقة لا لبس فيها، ولا خلاف حولها؛ وذلك لأن الرجل تحدَّث في معظم مؤلفاته عن موقفه، من صفات الباري – تعالى– بطريقة أشعرية، وسطية، واضحة تمامًا لمن أراد دراسة مؤلفات "العز بن عبد السلام"، ولما تشكَّلت الفكرة في ذهني عرضت الأمر على بعض أساتذتى الكرام للإفادة من آرائهم، فأمدوني بمعلومات قيِّمة عن الموضوع، وقد أفدت منها كثيرًا، ثم شجعوني على التقدم بهذا البحث، وقد

اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ"/ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة). أبو منصور الماتريدي. (١٥٧/١).المحقق: د. مجدي باسلوم. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

جعلته تحت عنوان: " **الصفات السلبية، وصفات المعاني عند سلطان العلماء "العز بن عبد السلام" المتوفى ٦٦٠هـ، عرض، وتحليل.**

أولاً : أهمية الموضوع :

إن العلم بذات الباري، وصفاته – تعالى– من أجلِّ مسائل علم التوحيد، وأفضلها؛ فعلى أساس العلم الصحيح بذات الباري، وصفاته يكون الإيمان الصحيح، والتوحيد الخالص لله رب العالمين، فلا استقرار للإيمان في قلوب العباد إلا بمعرفة ربِّها حق المعرفة، وبتعلم صفات الباري تمام العلم، فطلب الإنسان لهذا الباب، وحرصه على معرفته، وازدياده من التبصُّر فيه هو من أكبر مقاصد التوحيد، وأعظم مطالبه، وأجلِّ غاياته، والبحث في فهم المراد من هذه الصفات الإلهية، وفهم ما تتعلق به في الوجود مما قام النزاع فيه بين المدارس الكلامية قديمًا، سواءً بين أهل السنَّة والجماعة من الأشاعرة، والماتريدية، أوبين غيرهم من أهل التجسيم، والتشبيه، أو أهل الإثبات، والحشو، خاصة وأن أهل الحشو والإثبات ممن تعرض البحث للحديث عنهم، وكشف بعض شبههم

وتظهر أهميه هذا البحث عندما يكون الحديث عن هذه الصفات من خلال عالم موسوعي لُقِّب بسلطان العلماء في عصره، فقيه من طراز رفيع، كانت له إسهاماته البارزة في التجديد، ألا وهو الإمام "عز الدين بن عبد السلام" المتوفى ٦٦٠ هـ، الذي كان وجوده نسمة من نسمات الحق، وومضة من ومضات نور الإيمان التي تضئ الطريق لكل باحث عن الحق، مستشرف له وسط دياجير الظلام، فجاءت مؤلفاته سوطًا من سياط الحق لإقامة العقيدة الصحيحة في نفوس البشر على هُدىً من الله، ونور، فحارب الإمام "العز" البدع، ووقف في وجه الفرق المنحرفة، والآراء الباطلة، والعقائد الضالة، وقد قام الشيخ "العز بن عبد السلام" بهذا الأمر على خير وجه، فهو القائل: "ومن أنكر المنكرات

التجسيم، والتشبيه، ومن أفضل المعروف التوحيد، والتنزيه[١]، وإنما سكت السلف قبل ظهور البدع ، فورب السماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع ، لقد تشمَّر السلف للبدع لمَّا ظهرت، فقمعوها أتمَّ القمع، وردعوا أهلها أشد الردع، فردوا على الجهمية[٢]، وغيرهم من أهل البدع ، فجاهدوا في الله حق جهاده، والجهاد ضربان:- ضرب بالجدل، والبيان، وضرب بالسيف، والسنان؛ فليت شعري، فما الفرق بين مجادلة الحشوية وغيرهم من أهل البدع! [٣] وهو القائل أيضًا:" ألا إن سلاح العالم علمه، ولسانه، كما أن سلاح الملك سيفه، وسنانه، فكما لا يجوز للملوك إخماد أسلحتهم عن الملحدين، والمشركين، لا يجوز للعلماء إخماد أسلحتهم عن الزائغين، والمبتدعين، فمن ناضل عن الله،

(١)يقصد الإمام العز بكلامه هنا أن يبين أن تنزيهه- تعالى- وتنزيه صفاته عن التجسيم، ومشابهة الحوادث، وصرف النصوص الموهمة للتشبيه عن ظواهرها من أهم أمور العقيدة، فالاهتمام بعقيدة تنزيه الله عن الحوادث من أهم أبواب العقيدة المأخوذة عن السلف، وأنه لا يجب علينا أن نتكل على عقولنا وحدها في فهم مراد الله تعالي؛ لأن العقل لن يقدِّر الله تعالى حق قدره، وإنما يجب علينا أن نتعرف علي ما نُقل إلينا من أقوال وآراء أهل العلم العاملين، المحققين.

(٢)أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم أشياء، كقوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقضي تشبيهًا، فنفى كونه حيًّا ،عالمًا، وأثبت كونه : قادرًا ، فاعلًا، خالقًا؛ لأنه لا يوصف بشيء من خلقه بالقدرة ،والفعل، والخلق ، ومنها : إثباته علومًا حادثة للباري- تعالى- لا في محل/ الملل والنحل. الشهرستاني.(٨٥/١). تحقيق: محمد سيد كيلاني.الناشر: دار المعرفة- بيروت، ١٤٠٤ هـ عدد الأجزاء ٢.

(٣)المِلحَة في اعتقاد أهل الحق ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام..ص١٨. تحقيق. إياد خالد الطباع . ط دار الفكر المعاصر. دمشق.ط الأولى ١٤١٥هـ.بتصرف يسير.

وأظهر دين الله كان جديرًا أن يحرسه الله بعينه التي لا تنام ، ويُعزِّه بعزّه الذي لا يضام، ويحوطه بركنه الذي لا يُرام، ويحفظه من جميع الأنام، وعلى الجملة ينبغي لكل عالم إذا أُذِل الحق، وأُخمِد الصواب أن يبذل جُهده في نصرهما"[١]

ولقد كان تراث هذا العالم الفذِّ من المؤلفات في الأصول، والفروع ما دفعنا نحو الوقوف عليها بالتمحيص، والبحث، والتدقيق، والفحص، خصوصًا وأن مؤلفاته في العقيدة جاءت على نسق مذهب أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية، وسنجد هذا الأثر واضحًا، جليًّا في كتبه خلال حديثه عن ذات الباري، وصفاته، وتعلقاتها، وعن صفة الكلام، والاستواء على العرش، وغيرها من القضايا التي سنبينها خلال حديثنا عن آرائه العقدية، ولذا فهو شخصية جديرة بالبحث، وتوضيح وجهتها الكلامية.

ثانيًا: تساؤلات، وإشكاليات البحث:

تحدَّث الإمام العز– رحمه الله– عن ذات الباري– تعالى– وصفاته، وتعلقات هذه الصفات، وحاول بطريقة جادة أن يواجه بعض الإشكاليات، ويقوم بالإجابة عن بعض التساؤلات التي تعرَّض لها في عصره من مدعي الانتماء لطريقة السلف– زورًا وبهتانًا– وهم الحشوية[٢]، وكان من أبرز هذه الإشكاليات التي

(١)المرجع السابق .ص٢٤.بتصرف يسير.

(٢)"الحشوية هم: طائفة ينتسبون إلي الإمام أحمد بن حنبل، وأحمد مبرَّأ منهم، ثم جاء في أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء، واطلاع ، ولم يجد شيخًا يهديه، وهو علي مذهبهم ، وهو جسور، متجرد لتقرير مذهبه، ويجد أمورًا بعيدة فبجسارته يلتزمها، فشق العصا، وشوَّش عقائد= =المسلمين وأغرى بينهم"، ويقصد التقي السبكي بكلامه هنا الشيخ ابن تيمية وما أحدثته آراؤه الاعتقادية من تشويش عقائد المسلمين؛ وذلك عندما أثبت الجهة للباري تعالى، وقسَّم التوحيد ثلاثاً، وكفَّر بعض المتصوفة وعلماء الكلام، وأنكر مذهبهم جملة وتفصيلاً، فشوَّش بذلك عقائد المسلمين، وأغري الضغينة بينهم، راجع/ السيف الصقيل في

قام بالتعرض لها، وتحرير محل النزاع فيها صفة الكلام الإلهي ، والتي دار الخلاف حول فهم المراد منها، فتفرقت الفرق الكلامية بسبب ذلك إلى أمشاج مختلفة، ففهم البعض المراد منها أنها: بصوت، وحرف، وجعلها قائمة بذاته تعالى، وأنها قديمة كما ذهبت الحشوية، والبعض الآخر جعلها حروفًا، وأصواتًا، حادثة قائمة بالذات الإلهية كفرقة الكرَّامية[1]، وفريق ثالث جعلها بحرف، وصوت، لكنها ليست قائمة بذاته تعالى، بل يخلقها الله في غير ذاته كما ذهبت المعتزلة[2]، مما دفع الأشعرية إلى التوسط في المسألة؛ فأثبتوا الكلام النفسي للباري– تعالى–، وهو قديم، وأما اللفظ الذي يعبِّر عن هذا الكلام النفسي فهو حادث، وهو المرسوم في المصحف، كذلك كانت مسألة استواء الله على العرش، وإثبات البعض لهذا الاستواء على حقيقته بما يلزمه من تناقضات، وتأويل البعض الآخر له من أهم الإشكاليات التي قام الإمام "العز"

الرد علي ابن زفيل .تقي الدين السبكي. صـ٢٢ ، ٢٣.تحقيق : محمد زاهد الكوثري. ط المكتبة الأزهرية للتراث. بتصرف يسير.

(١)أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرَّام ، كان ممن يثبت الصفات، إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم، والتشبيه، وكان يقول: إن معبوده على العرش استقرارًا، وعلى أنه بجهة فوق ذاتًا، وأطلق عليه اسم الجوهر، وإنه مماس للعرش من الصفحة العليا، وجوَّز الانتقال، والتحول، والنزول / الملل والنحل. الشهرستاني.(١٠٧/١).

(٢)المعتزلة هم: أتباع "واصل بن عطاء"، و"عمرو بن عبيد"، سُمُّوا بذلك لمّا اعتزلوا مجلس الحسن البصري، وقيل غير ذلك، فعندهم لا يُسمَّى العبد مؤمنًا إلا إذا أدى الواجبات، واجتنب الكبائر، ويقولون: إن الدين والإيمان قول، وعمل، واعتقاد، ولكنه لا يزيد، ولا ينقص، فمن أتى كبيرة صار في منزلة بين المنزلتين – خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر– هذا حكمه عندهم في الدنيا، وحكمه في الآخرة خالد مُخَلَّدٌ في النار/ التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. الإسفراييني. ص ٦٧. تحقيق : كمال يوسف الحوت. الناشر : عالم الكتب. بيروت. ط الأولى ، ١٩٨٣م. الأجزاء : ١.

بالإجابة عليها، وأيضًا كانت مسألة قرب الباري– تعالى– من خلقه، وتأويل ما يوهم ظاهره نسبة القرب المكاني لله تعالى ، سببًا لتشعب الفرق الإسلامية، وادعاء كل واحدة منها أن منهجها هو الأصح في فهم المراد منها، وأن آرائها وحدها هى التي تمثل صورة الإسلام الصحيح، كل هذه القضايا كانت مثارًا للجدل والنقاش في عصر الإمام العز بن عبد السلام، وقد وُفِّق– رحمه الله– للإجابة عن هذه التساؤلات.

ثالثًا: أسباب اختيار الموضوع:

١– الرغبة في معرفة موقف "العز بن عبد السلام" من قضايا علم الكلام باعتباره أحد أهم فقهاء عصره في ذاك الوقت، وإبراز جهوده في هذا الشأن.

٢– إن "العز بن عبد السلام" يعدُّ من أبرز فقهاء مصر الذين تعرضوا لنقد فكر الحشوية في عصره، فقد ندَّد بفكرهم، وتعرض لبيان زيف مذهبهم العقدي، فأحببت أن أدرس هذه الشخصية؛ لأستخرج من مؤلفاته ما يوضح منهجه مع التعامل مع قضايا علم الكلام، وإلى أي مدى يتفق مذهبه مع مذهب أهل السنَّة والجماعة من الأشعرية والماتريدية، خصوصًا وأن أهل الحشو يدعون أن منهج السادة الأشعرية أو الماتريدية لم يكن منتشرًا بصورة كبيرة فيما مضى، فجاءت مؤلفات هذا العالم لتبين زيف هذه الدعوى، وأنه متأصل في التاريخ العقدي قبل ظهور الحشوية أنفسهم.

٣– إن صفة الكلام واختلاف المذاهب العقدية في تناولها لهذه الصفة من جملة القضايا التي شغلت مكانة فكرية كبيرة في الجانب العقدي؛ فقد تناولها متكلمو الإسلام بالدراسة، والتمحيص، فكان من حقها علينا أن تلقى من العناية ما يناسب مكانتها، ويليق بجلال موضوعها، خصوصًا وأن الإمام "العز بن عبد السلام" قد أفرد للحديث عن صفة الكلام رسالة مستقلة ضد حشوية

عصره، سمَّاها "إيضاح الكلام فيما جرى "للعز بن عبد السلام" في مسألة الكلام"

٤- تأكيد أنه لا خصومة بين الفقه الأكبر(التوحيد) والفقه الأصغر(الشريعة) وأن جلَّ فقهاء القرون السالفة كانوا على نهج أهل السنَّة من الأشعرية والماتريدية، وسلطان العلماء "العز بن عبد السلام" خير دليل على ذلك.

ثالثاً: المنهج المتَّبع في البحث: وقد سلكت منهجًا في البحث يتلخص في الآتي:

- منهج العرض، والتحليل: فيما يتعلق بعرض آراء الشيخ "العز بن عبد السلام" أو آراء غيره من العلماء، وأدلَّتها من كتب أصحابها ممن تعرض البحث لدراسة آرائهم، وأدلتهم في المسائل المختلفة، ودون تدخل في النصِّ، اللهم إلا باختصار، أو تصرُّف يسير، منبِّهًا إلى ذلك في الحاشية، ثم القيام بالتحليل، أو التعقيب على ذلك، وبيان مدى الصواب، أو الخطأ فيها.

-المنهج التاريخي: الذي يهتم بسرد الوقائع التاريخية، والأحداث الزمنية فيما يتعلق بترجمة الأعلام، وحياتهم، وعصرهم، ومؤلفاتهم، وما إلى ذلك.

رابعاً: خطة البحث: هذا البحث مقسم إلى: مقدمةٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمةٍ:-

فأما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج المتَّبع في البحث، **وأما المباحث، فهى:-**

المبحث الأول: عصر سلطان العلماء "العز بن عبد السلام"، وحياته

أولاً: عصره، ويشتمل على لمحة مختصرة عن ذاك العصر.

ثانيًا: حياته، ويشتمل على مطالب:-

المطلب الأول :اسمه، كنيته، لقبه، مولده، نشأته.

المطلب الثاني: طلبه للعلم، وجرأته في قول الحق.

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: تلاميذه

المطلب الخامس: مؤلفاته، ووفاته.

المبحث الثاني: الصفات السلبية عند سلطان العلماء العز بن عبد السلام، ويشتمل على ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول: التعريف بالصفات السلبية، وموقف العلماء منها، ورأى "العز بن عبد السلام" فيها.

المطلب الثاني: حديث العز بن عبد السلام عن التنزيهات.

المطلب الثالث: حديث العز بن عبد السلام عن الحشوية، ورأيهم في استواء الله على عرشه، وقرب الباري- تعالى- من خلقه، ورأيه في ذلك.

المبحث الثالث: صفات المعاني، وصفات الفعل عند سلطان العلماء العز بن عبد السلام، ويشتمل على مطلبين:-

المطلب الأول: تعريف صفات المعاني، والفعل ، ورأى "العز بن عبد السلام" فيهما.

المطلب الثاني: صفة الكلام عند سلطان العلماء العز بن عبد السلام.

وأما الخاتمة: فقد تناولت فيها أهم النتائج، والتوصيات المستَخلَصة من البحث، ثم ذيّلتُ البحث بفهرس المصادر، والمراجع، وفهرس الموضوعات، وأسألُه - تعالى- أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

المبحث الأول

عصر سلطان العلماء "العز بن عبد السلام، وحياته

أولاً: عصره، ويشتمل على لمحة مختصرة عن عصر العز بن عبد السلام

بداية سوف يكون الحديث عن عصر سلطان العلماء العز بن عبد السلام مختصرًا، ومركزًا على قدر مشاركة العز بن عبد السلام في الحدث السياسي، أو العلمي؛ حتى لا يطول بنا الحديث من ناحية، ولا يخرج عن قصده الذي وضع له من ناحية أخرى

١- من الناحية السياسية:

(عاش الإمام العز بن عبد السلام قسطًا مهمًا جدًا من حياته في ظلال دولة المماليك البحرية، والذين كان أصلهم من الأتراك الذين اشتراهم الملك الأيوبي "الصالح نجم الدين أيوب"[١] لحمايته، وأسكنهم إلى جواره في القصر الذى بناه في جزيرة الروضة على النيل، فسُمُّوا البحرية، وعدد سلاطينها الذين حكموا مصر: أربعة وعشرون سلطانًا، من أبرزهم: قطز[٢]

(١)الملك الصالح أبو الفتوح ، نجم الدين، أبو الفتوح أيوب، ابن السلطان الملك الكامل، محمد ابن العادل، مولده: سنة ثلاث وست مائة، بالقاهرة، كان فصيحًا، حسن المحاورة، عظيم السطوة، تعلل، توفي ليلة النصف من شعبان، سنة سبع وأربعين وست مائة، بقصر المنصورة، مرابطًا، فأخفوا موته، وأنه عليل حتى أقدموا ابنه الملك المعظم تورانشاه من حصن كيفا، ثم نقل، فدفن بتربته بالقاهرة/ سير أعلام النبلاء.الذهبي.(٢٣ / ١٨٧).المحقق. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الناشر مؤسسة الرسالة.ط الثالثة، ١٤٠٥ هـ. الأجزاء ٢٥.

(٢)المظفر قطز (٠٠٠ - ٦٥٨ هـ = ٠٠٠ - ١٢٦٠ م)

قطز بن عبد الله المعزي، سيف الدين: ثالث ملوك الترك المماليك بمصر، والشام، كان مملوكًا للمعز " أيبك " التركماني، وترقى إلى أن كان في دولة المنصور بن المعز " أتابك " العساكر،ثم خلع المنصور، وتسلطن مكانه سنة ٦٥٧ هـ، نهض لقتال " التتار" وكانوا بعد

وبيبرس[١]) [٢]، وقد كان لسلطان العلماء قدر، ومكانة عند الملك نجم الدين أيوب، وعند الملك قطز، وعند الظاهر بيبرس، كذلك كانت له حادثة مع الملك الأشرف، وسوف أذكر ذلك على ترتيبه

أما عن مكانته عند الملك الصالح نجم الدن أيوب" فقد كان العز بن عبد السلام يدرِّس العلوم الشرعية في دمشق، وأول مدرسة عمل بها هي المدرسة العزيزية؛ والتي كان يدرس فيها شيخه سيف الدين الآمدي ، واستمر العز في التدريس مع أستاذه الآمدي، وبعده، كما درَّس أيضًا في المدرسة الشبلية، ثم تولى التدريس في الزاوية الغزالية بجانب الجامع الأموي"[٣] ،"ثم خرج إلى الديار

تخريب بغداد قد وصلوا إلى دمشق، وهددوا مصر، فجمع الأموال، والرجال، وخرج من مصر، فلقي جيشًا منهم في "عين جالوت " بفلسطين، فكسره (سنة ٦٥٨) وطارد فلوله إلى أن ظفر بهم، ودخل دمشق في موكب عظيم./ الأعلام. الزركلي (٥ / ٢٠١).

(١)الظاهر بيبرس(٦٢٥ – ٦٧٦ هـ = ١٢٢٨ – ١٢٧٧ م)

الملك الظاهر: صاحب الفتوحات، مولده بأرض القبچاق، وأُسر، فبيع في سيواس، ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة، فاشتراه علاء الدين أيدكين البندقدار، وبقي عنده، فلما قبض عليه (نجم الدين أيوب) أخذ بيبرس، فجلعه في خاصة خدمه، ثم أعتقه، ولم تزل همته تصعد به حتى كان (أتابك) العساكر بمصر، في أيام الملك قطز، وقاتل معه التتار في فلسطين، ثم اتفق مع أمراء الجيش على قتل قطز، فقتلوه، وتولى (بيبرس) سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨ هـ ، توفي في دمشق ومرقده فيها معروف أقيمت حوله المكتبة الظاهرية/ الأعلام. للزركلي (٢ /٧٩) .

(٢)راجع: الحياة الأدبية فى مصر العصر المملوكى والعثمانى. للدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى. صـ ٧–١٩. نشر: مكتبة الكليات الأزهرية. ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٨/٢١٠). تحقيق : د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو. دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ. ط ٢.

المصرية في حدود سنة تسع وثلاثين وستمائة متوجهًا إلى القاهرة فتلقَّاه سلطانها الملك "الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل"، وأكرمه، وولَّاه القضاء بها، وبالوجه القبلي مدة، كما أسند إليه التدريس في المدرسة الصالحية بالقاهرة، وكانت مدرسة كبيرة خصصت لتدريس المذاهب الأربعة، فأسند تدريس المذهب الشافعي للإمام العز – رحمه الله– فبقي كذلك إلى أن تُوفى٦٦٠هـ"[١]

وكان لسلطان العلماء حادثة مع السلطان "قطز" تبيِّن إلى أيِّ حدٍّ كان العز بن عبد السلام– رحمه الله– جريئًا في قول الحق، لا يخاف في الله لومة لائم "وحاصل ذلك أن التتار عندما دهمت البلاد عقيب واقعة بغداد، استشار السلطان قطز الشيخَ عز الدين بن عبد السلام–رحمه الله– في الخروج لقتالهم، فقال: اخرجوا، وأنا أضمن لكم على الله النصر، فقال السلطان له: إن المال في خزانتي قليل، وأنا أريد أن أقترض من أموال التجار، فقال له الشيخ عز الدين: إذا أحضرت ما عندك، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلىّ، والنقود، وفرَّقته في الجيش، ولم يقم بكفايتهم ،عندها أطلب القرض، وأما قبل ذلك فلا، فأحضر السلطان والعسكر كلهم ما عندهم من المال بين يدىّ الشيخ ، وكان للشيخ له عندهم هيبة بحيث لا يستطيعون مخالفته، فامتثلوا أمره، فانتصروا، وهزم الله التتار في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ" [٢]

(١) طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي.(٣١٦/١). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. عدد الأجزاء: ٢..طبقات الشافعية. أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة.(١١٠/٢)، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان. دار النشر:عالم الكتب. بيروت. ١٤٠٧ هـ،.ط. الأولى.الأجزاء٤= =شذرات الذهب في أخبار من ذهب. عبد الحي الحنبلي.(٣١٠/٥)تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط.الناشر دار بن كثير. ١٤٠٦هـ. دمشق. الأجزاء ١٠.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى . تاج الدين السبكي.(٢١٥/٨).بتصرف يسير.

"**ومما يدل على منزلته الرفيعة عند الملك الظاهر بيبرس**"أن الملك الظاهر بيبرس لم يبايع واحدًا من خلفائه إلا بعد أن يتقدمه الشيخ عز الدين للمبايعة، ثم بعده السلطان، ثم القضاة"[١] "كما عرض عليه الملك الظاهر بيبرس أيضًا بعد بنائه المدرسة الظاهرية أن يتولى أمر التدريس فيها إضافة إلى تدريسه في الصالحية، فأبى، وقال: إن معي تدريس الصالحية، فلا أضيِّق على غيري، وسأله الملك أن يشترط في وقفها أن يكون التدريس لأولاده فقال: إن في هذا البلد من هو أحق منهم"[٢]، ومما يذكر للظاهر بيبرس أنه كان من أبرز سلاطين مصر؛ "حيث واصل جهود الأيوبيين ضد الصليبيين، وواصل الحرب ضد المغول، وقام بتجديد الأزهر، وزاد شأن مصر في عهده؛ لما دعا إلى إعادة الخلافة العباسية سنة ٦٥٩هـ، وأن تكون مصر هى مقرها" [٣]

أما عن حادثة العز بن عبد السلام مع الملك الأشرف[٤] فقد قام العز بن عبد السلام بالتدريس في مدارس دمشق، ومساجدها في عصر الدولة الأيوبية

(١) طبقات الشافعية الكبرى.تاج الدين السبكي. (٨ / ٢١٥) .

(٢) الأيوبيون بعد صلاح الدين. عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي.ص ٦٤٠.الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر.ط: الأولى. الأجزاء: ١.

(٣) العرب والتتار د.إبراهيم أحمد العدوى. صـ ٧٢-٧٦ المؤسسة المصرية العامة للتأليف. ١٩٦٣م.بتصرف.

(٤) الملك الأشرف (٥٧٨ – ٦٣٥ هـ = ١١٨٢ – ١٢٣٧ م)
موسى (الأشرف) بن محمد العادل، ابن أبى بكر، محمد بن أيوب، مظفر الدين، أبو الفتح: من ملوك الدولة الأيوبية بمصر، والشام، كان أول ما ملكه مدينة الرها، سيره إليها والده من مصر سنة ٥٩٨ هـ، ثم أضيفت إليه حران، واتسع ملكه بعد موت أخيه الملك أيوب، وجرت له مع ملك الروم، ومع ابن عمه الملك الأفضل وقائع، ثم نزل للكامل على بعض مملكته، وأخذ منه دمشق (سنة ٦٢٦) وسكنها، مولده بالقاهرة ، ووفاته في دمشق/ الأعلام. للزركلي (٧ / ٣٢٧) .

في عهد الملك الأشرف "موسى بن محمد العادل"، وحينها وقعت له محنة مع حشوية عصره ؛حيث كان للشيخ أعداء من حشوية الحنابلة المبتدعين، الذين وشى بعضهم به عند الملك الأشرف– رحمه الله– وادعوا عليه – زورًا– أنه يخالف اعتقاد السلف الصالح في مسألة كلام الله تعالى، وأنه أشعري المذهب، على غير مذهب السلف، فاستهول ذلك السلطان، واستعظمه، ونسبهم إلى التعصب عليه، فكتبوا فتوى في مسألة الكلام، وأرسلوها إلي الإمام العز ؛ ليكتب اعتقاده في مسألة كلام الباري– تعالى–، فكتب في ذلك في رسالة أسماها "إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام"، وتبين للملك براءة سلطان العلماء مما رماه به الحشوية، فقرَّبه إليه، وأكرمه"[١]

٢–الناحية العلمية للعصر المملوكي: مِن تصفُّح تاريخ المماليك يمكن القول: بأنهم قد عملوا على إضفاء الشرعية لملكهم، وصبغِهِ بصبغة دينية، وفى سبيل ذلك: شجعوا الحركة العلمية، وعملوا على ازدهارها؛ ومن مظاهر ذلك:–

١– احترامهم الشديد للعلماء، وإنزالهم العالِم منزلة رفيعة؛ فهذا أحدهم يقوم للعالِم إذا دخل عليه، وآخر ينزل عن سرير الملْك ليقبِّل يد العالم، إلى غير ذلك من صور تكريم العلماء[٢]

٢– تشجيعهم العلماء وإغداق الأموال عليهم، والاهتمام بخزائن الكتب، وجعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية[١]

(١) طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٨/٢١٠).

(٢) نقل الباحثون في التاريخ: أن السلطان المملوكي (لاجين): نزل عن سرير الملك ليقبّل يد الشيخ محمد بن عنان. والسلطان برقوق: يقوم إذا دخل عليه عالِم أو فقير، والسلطان خُشقدم: يقوم من فراش مرضه مرض الموت احترامًا للعالِم. راجع/ المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك. للدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور. صـ ٣٥–٤٠، ١٥٧ وما بعدها. نشر: دار النهضة العربية. ١٩٩٢م.

٣- عقدهم للحلقات العلمية (المجالس الأسبوعية) يحضرها السلطان نفسه[٢]

٤- اهتمامهم بالمنشآت التعليمية؛ من: المدارس، والمساجد، وخزائن الكتب، وغير ذلك، وحبْس الأوقاف عليها[٣]

ثانيًا: حياته:

كان "العز بن عبد السلام" مدرسة شامخة في فهم مقاصد الشريعة، وفقه المصالح، والمفاسد، والتصوف، والعقائد، فقد ساهم-رحمه الله- في نهضة الأمة فقهيًا، وعقديًا ،وفكريًا، وأخلاقيًا، فاستحق أن يُسجَّل اسمه بماء الذهب على صفحات الزمان.

المطلب الأول: (أ)اسمه، وكنيته، ولقبه:

هو: "عبد العزيز، بن عبد السلام، بن أبي القاسم، بن حسن، بن محمد، بن مهذب، السُّلمي، الشافعي، يكنَّى بأبي محمد، ولُقِّب بعدَّة ألقاب، منها: عز الدين، وشاع بين الناس، الإمام العز، ولُقِّب أيضًا بسلطان العلماء، لقبه به تلميذه ابن دقيق العيد[٤]، كما لُقِّب بشيخ الإسلام"[١]

(١) البدر الطالع. محمد بن على الشوكاني. (٣٠٢/١) نشر: دار المعرفة. بيروت. بدون تاريخ.

(٢)الذيل التام على دول الإسلام. شمس الدين السخاوى. (٢٠٩/٢) حققه حسن إسماعيل مروة، نشر: مكتبة العروبة- الكويت، دار ابن العماد - بيروت.ط الأولى. ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(٣) راجع: الحياة الأدبية فى مصر. للدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى. صـ ١٢-٣٠، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية. ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٤)ابن دقيق العيد (٦٢٥ - ٧٠٢ هـ = ١٢٢٨ - ١٣٠٢ م)

محمد، بن علي، بن وهب، بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد، أصل أبيه من منفلوط بمصر، ولد في ينبع، وتعلَّم بدمشق، والأسكندرية، ثم بالقاهرة، وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥ هـ،

(ب) مولده، ونشأته: "ولد العز بن عبد السلام –رحمه الله– بدمشق، عام سبع، أو ثمان وسبعين، وخمسمائة"[٢] "وكانت نشأته في أسرة فقيرة، مغمورة، لم يكن لها مجد، أو سلطان، أو منصب، أو علم في مدينة دمشق، تلك المدينة التي كانت مركزًا هامًا للعلم، والمعرفة، وكانت قبلة للعلماء، والفقهاء، ففي هذه المدنية العريقة ولد "العز بن عبد السلام"، ونشأ في ربوعها، وتنسَّم هواءها، وقد كان العز منذ نشأته الأولى عفيفًا، شريفًا، يملك نفسًا أبيَّة؛ إذ لم يُعرف عنه أنه امتهن مهنة تزري صاحبها، أو تحط من شأنه، وكان– رحمه الله– شابًا، متدينًا، متعبدًا –رغم فقره، وكدِّه على رزقه–، ولا أدلُّ على ذلك من مبيته في مسجد دمشق الليالي الطوال؛ ينتظر الصلاة كى لا تفوته الجماعة، أو يغيب عن الصلاة، والعبادة فيه[٣] "أقبل –رحمه الله–على العلم، فكان من أعلم أهل زمانه، ومن أعبد خلق الله، سلك منهج الحق، وتعلَّق قلبه بالمساجد، لا يخرج منها إلا ليعود إليها، فكان مثال الشاب الذي نشأ في طاعة الله، عازفًا عن طيش الشباب، وهوى النفس، ويتحلى بوعيٍّ دينيٍّ كبير"[٤]

فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة، له تصانيف كثيرة، منها: (إحكام الأحكام– ط)، و(الإلمام بأحاديث الأحكام– ط) و(تحفة اللبيب في شرح التقريب– ط) ،وغيرها/ الأعلام. الزركلي.(٢٨٣/٦).

(١) طبقات الشافعية . أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة.(١٠٩/٢)، الأعلام. خير الدين الزركلي.(٢١/٤)،سلطان العلماء وبائع الأمراء.د. على محمد الصلابي.ص. ص١١. ط المكتبة العصرية بيروت. الأجزاء ١. بدون.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٢٠٩/٨).

(٣)سلطان العلماء وبائع الإمراء. د. على محمد محمد الصلابي.ص. ص١١.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٢١٣/٨).

وبهذه النشأة الصالحة أصبح العز– رحمه الله–شيخًا من شيوخ الإسلام، وأمامًا من الأئمة الأعلام، وصار سلطانًا للعلماء، قائمًا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في زمانه، مطلعًا على حقائق الشريعة، عارفًا بمقاصدها، لم ير مثله علمًا، وورعًا، وقيامًا في الحق، وشجاعة، وقوة جنان، وفصاحة لسان.

المطلب الثاني:

طلبه للعلم، وجرأته في قول الحق

"أفنى "العز بن عبد السلام" عمره في التعليم، والتعلُّم، فدرَس، ودرَّس، وأفتى، وصنَّف، وبرع في المذهب الشافعي، حتى بلغ رتبة الاجتهاد فيه، وقصده الطلبة من البلاد، وتخرَّج على يديه أئمة، وصار رأس الشافعية في وقته، لا يخاف في الله لومة لائم، ولِيَ خطابة الجامع الأموي بدمشق ، وأزال كثيرًا من البدع التي كان الخطباء يفعلونها حينذاك"[١]

"انقطع العز بن عبد السلام–رحمه الله– للعلم، والتعلُّم بعدما ناهز الحلم، وشمّر عن ساعد الجد ، فحفظ المتون، وتردَّد على كبار الشيوخ في عصره ؛ ليعوض ما فاته في صغره، كما أن كبر سنِّه، وذكاءه أعاناه على التفوق في تحصيل العلم، وإدراك مسائله الغامضة، والذي ساعده أيضًا على الاستزادة من العلم والمعرفة الجو العلمي الذي كانت تعيشه بلاد المشرق بصفة عامة، ومدينة دمشق بصفة خاصة، حيث كانت موطنًا لعدد كبير من فحول العلماء،

(١) طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي المالكي (٣١٦/١).

ومشاهيرهم، فنهل منهم، العلم، والمعرفة، وتحلى بمكارم أخلاقهم، واقتدى بحسن سلوكهم"[١]

"وكان "العز بن عبد السلام" يقول: ما احتجت في تحصيل علم من العلوم إلى أن أكمله على الشيخ الذي أقرأ عليه، وما توسطته على شيخ من المشايخ إلا وقال لي الشيخ: قد استغنيت عني، فاشتغل مع نفسك، ولم أقنع بذلك، بل لا أبرح حتى أكمل الكتاب الذي أقرؤه في ذلك العلم، وقد مضت لي ثلاثون سنة لا أنام كل ليلة إلا بعد أن أمررّ أبواب الشريعة علي خاطري"[٢]

وكان– رحمه الله– جريئًا في قول الحق، مجاهدًا بلسانه، ولا أدلّ على ذلك من موقفه مع أمراء الدولة من الأتراك،"فقد رأى سلطان العلماء العز بن عبد السلام أن المماليك الذين اشتراهم "نجم الدين أيوب"، ودفع ثمنهم من بيت مال المسلمين، واستعملهم في خدمته، وجيشه، وتصريف شؤون الدولة يمارسون البيع، والشراء وهو تصرف باطل؛ لأن المملوك لا ينفذ تصرفه، فأخذ سلطان العلماء لا يمضي لهم بيعًا، ولا شراءً، فضايقهم ذلك، فقال لهم: نعقد لكم مجلسًا، وينادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة، فلم يفد فيه، فانزعج النائب، وقال: والله لأضربنه بسيفي هذا، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلول في يده ، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فعاد إلى أبيه، وشرح لوالده الحال، فما اكترث العز لذلك، وقال يا ولدي: أبوك أقلّ من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج إلى نائب السلطنة، فحين وقع بصره عليه يبست يد النائب، وسقط السيف منها، ثم بكى، وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال يا سيدي: ماذا

(١) سلطان العلماء وبائع الإمراء. د. على محمد محمد الصلابي.ص. ص١٣.
(٢) طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي المالكي.(٣١٩/١).

تريد؟ قال: أنادي عليكم، وأبيعكم، فتمَّ له ما أراد، ونادى على الأمراء واحدًا، واحدًا، وقبض ثمنهم، وصرفه في وجوه الخير"[1] وهذا يدل على شجاعته التي لازمته طيلة حياته، فقد كان– رحمه الله –شجاعًا في الحق، يدور معه حيث دار، وما قصته مع نائب السلطان هذه، إلا أكبر دليل ساطع على شجاعته، وجرأته، وأنه لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يخشى في الله أحدًا.

المطلب الثالث

شيوخ العز بن عبد السلام

تلقى العز –رحمه الله– علوم العقيدة، والحديث، والفقه، والأصول، والتفسير والتصوف، واللغة على أكابر علماء دمشق التي كانت قبلة العلماء الأفذاذ، البارعين في شتى العلوم، والفنون، فتردد عليهم الشيخ عز الدين، ونهل من علمهم ، وتأثر بهم، وسار على نهجهم، فجمع بذلك علومًا كثيرة، وأفاد الطلبة، وترقى في طلب العلم حتى انتهت إليه رياسة الشافعية في مصر، وقُصد بالفتوى من الآفاق، ومن هؤلاء الشيوخ الذين تعلم علي يديهم على سبيل المثال لا الحصر:

أولًا: جمال الدين الحرستاني: هو عبد الصمد، بن محمد، بن أبي الفضل، بن علي، قاضي القضاة، جمال الدين، أبو القاسم، الخزرجي، الأنصاري، الدمشقي، المعروف بابن الحرستاني، قاضي دمشق، جمع الحديث في مسند سُمى بمسنِد الشام، كان إمامًا، فقيهًا، عارفًا بالمذهب، ورعًا، صالحًا، محمود الأحكام، حسن السيرة، كبير القدر، ولي القضاء بدمشق سنة ٦١٢هـ وكان عالماً، صالحًا، زاهدًا صارمًا، عادلاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولم تفته

([1]) المرجع السابق.(٨/٢١٦).

صلاة بجامع دمشق في جماعة إلا إذا كان مريضاً، وعمَّر دهرًا طويلاً ، وتوفي–رحمه الله– سنة أربع عشرة وستمائة ، وله ٩٥ سنة، وكان من أعدل القضاء، وأقومهم بالحق، تتلمذ عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وسمع منه الحديث، وأخذ عنه الفقه، وقال فيه الشيخ عز الدين: أنه لم ير أفقه منه، وعليه كان ابتداء اشتغاله، ثم صحب "فخر الدين ابن عساكر"، ورجَّح الشيخ عز الدين الشيخ ابن الحَرستاني– في علمه– على ابن عساكر"[١]

ثانيًا: فخر الدين بن عساكر: هو أبو منصور، عبد الرحمن، بن محمد، بن الحسن، بن هبة الله، الدمشقي، الملقب فخر الدين، المعروف بابن عساكر، شيخ الشافعية بالشام، وفقيه زمانه، وكان محدثًا، صالحًا، زاهدًا ، كثير التهجد، حسن الخَلق، والخُلقُ، كثير الأدب، والذكر، منقطعًا للعلم، والعبادة، جمع بين العلم، والعمل، وهو من أسرة اشتهرت بالعلم، والفضل، والحفظ، وكان قويًا في الحق، لا يهاب سطوة ظالم، ولا يسكت على منكر، أو مخالفة للشرع، وقد تخرج من بيتهم جماعة من العلماء، ولد سنة خمسين وخمسمائة من الهجرة، وتوفي في العاشر من رجب يوم الأربعاء سنة عشرين وستمائة هجريًا بدمشق– رحمه الله تعالى– وطُلب للقضاء فامتنع، وعرضت عليه مناصب دينية فأباها، وأنكر بيع الخمور بدمشق، فمُنع من التدريس في أهم مدارسها، لازمه العز كثيرًا، وأخذ منه الفقه، والحديث، وتأثر به في علمه، وأخلاقه، وسلوكه"[٢]

ثالثًا: سيف الدين الآمدي: هو علي، بن أبي علي، بن محمد، بن سالم الثعلبي، أبو الحسن، المعروف بسيف الدين الآمدي، أحد أذكياء الأمَّة، وُلد بعد

(١) سير أعلام النبلاء. الذهبي. (٨٠/٢٢) المحقق. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الناشر مؤسسة الرسالة.ط الثالثة، ١٤٠٥ هـ. الأجزاء ٢٥.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. شمس الدين بن خلكان.(١٣٥/٣). المحقق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر– بيروت.١٩٠٠م. الأجزاء : ٧

سنة ٥٥٠هـ بيسير، بمدينة آمد، وقرأ بها القرآن، ثم قَدِم بغداد، فقرأ بها القراءات، وتفنَّن في علم النظر، وأحكم الأصلين، والفلسفة، وسائر العقليات، ثم دخل مصر، وتصدَّر للإقراء، وتخرّج به جماعة، ثم وقع التعصَّب عليه، فخرج من القاهرة متخفيًا ، ثم قدم دمشق، ودرس بالمدرسة العزيزية، وتوفي بدمشق سنة ٦٣١هـ، له تصانيف تربو على العشرين، كلها منقّحة حسنة، من أشهرها: "الأبكار" في أصول الدين، و"الأحكام" في أصول الفقه، و"شرح جدل الشريف" ، وقد درس عليه العزّ الأصول، واستفاد منه كثيرًا، وتأثر به، ويبدو ذلك في كتاب العزّ "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" وكان من المعجبين به، وبطريقة تدريسه، ومناظرته، وقد نقلت عنه عبارات تشيد بذلك ، منها قول العزّ: ما سمعت أحدًا يُلقي الدرس أحسن منه، كأنه يخطب، وقال: ما علمنا قواعد البحث إلا من سيف الدين الآمدي، وقال: لو ورد على الإسلام متزندق يُشكّك ما تعيّن لمناظرته غير الآمدي؛ لاجتماع أهليّة ذلك فيه، ولما توفى الآمدي خرج الإمام العز في جنازته[١]

رابعًا: شهاب الدين السُّهروردي: من شيوخ العز الذين أثروا فيه، وتأثَّر بهم، الإمام العارف "أبو حفص، عمر، بن محمد، بن عبد الله، بن عمويه، بن سعيد، بن الحسن، السهروردي" ، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق– رضي الله عنه– ولد سنة ٥٣٠هـ، بسهرورد، وقدم بغداد، فصحب عمّه، وأخذ عنه التصوف، والوعظ، وسمع الحديث على شيوخ عصره، وتفقه على علماء بغداد، كان عالمًا فاضلًا، ومحدثًا حافظًا، وعابدًا زاهدًا، أقبل على الله، وسلوك طريق

(١) راجع/ تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. شمس الدين الذهبي.(١٤/ ٥٠٩).المحقق الدكتور بشار عوّاد معروف.الناشر دار الغرب الإسلامي. ط: الأولى ٢٠٠٣ م.الأجزاء:١٥، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. شمس الدين بن خلكان.(٢٩٣/٣)، الأعلام. خير الدين الزركلي الدمشقي. (٣٣٢/٤).

الآخرة، واستغرق أوقاته بالعبادات، والأوراد، والأذكار ولزم باب الله تعالى، ففتح الله- عز وجل- عليه حتى صار أوحد زمانه، وفريد عصره، كان كلامه آخذًا بمجامع القلوب، ويدخل إلى زوايا النفوس، فيحرك مكامنها، وإليه المنتهي في تربية المريدين، من أهم كتبه "عوارف المعارف" انتفع به خلق كثير، منهم إمامنا العز بن عبد السلام؛ حيث لازمه، وأخذ عنه الورع، والزهد، والتصوف، توفي ببغداد سنة ٦٣٢هـ"[١]

هؤلاء هم أهم شيوخ العز بن عبد السلام الذين أخذ عنهم علم العقيدة، التصوف، والفقه، والحديث، والأصول، والتفسير، وانتفع بعلمهم في حياته العملية بعد ذلك.

المطلب الرابع

تلاميذ العز بن عبد السلام

قصد طلاب العلم النجباء سلطان العلماء العزَ بن عبد السلام، فاجتمعوا عليه من شتى أقطار الأرض؛ لينهلوا من علمه، ويتعلموا من فقهه، وليشربوا من نبع علمه الفيَّاض، حتى تخرَّج على يديه فحول العلماء، وجهابذة الفقهاء، وساعده على ذلك تفرغه للتدريس والتعليم في شتى فروع علم الشريعة، فألقى دروسًا في العقيدة، والفقه، والتفسير، والأصول، والتصوف، فتعلَّقت به قلوب العامَّة، والخاصَّة من طلبة العلم، ومن العسير أن نحيط علمًا بكل تلامذته، ولكن سنقتصر على أهم تلاميذه الذين نهلوا من علمه، وتربوا على يديه:

(١)الأعلام. الزركلي الدمشقي. (٦٢٩/٥). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. شمس الدين بن خلكان.(٤٤٦/٣).

أولًا: ابن دقيق العيد: "هو تقي الدين، أبو الفتح، محمد، بن مجد الدين، علي، بن وهب، بن مطيع، القشيري، من أكابر العلماء بالأصول، ومن أهل الاجتهاد، وُلد في الخامس والعشرين من شعبان سنة ٦٢٥هـ، وتفقَّه ببلده قوص– إحدى مدن صعيد مصر– على يد والده، وكان مالكي المذهب، ثم رحل إلى القاهرة، وتفقّه على العزّ بن عبد السلام، فحقَّق المذهبين، وولي قضاء الديار المصرية"[١] قيل في وصفه: "شيخ الإسلام، الحافظ، الزاهد، الورع، الناسك، المجتهد، ذو الخبرة التامّة بعلوم الشريعة، الجامع بين العلم، والدين، والسالك سبيل السادة الأقدمين، أكمل المتأخرين، بحر العلم الذي لا تكدره الدلاء، ومعدن الفضل الذي لقاصده منه ما يشاء"[٢]

"وقد وُليَّ قضاء القضاة على مذهب الشافعي بمصر، وعزل نفسه أكثر من مرة، ثم يُعاد ، توفي في حادي عشر صفر سنة ٧٠٢هـ ، تاركًا خلفه ثروة علمية هائلة، وكان–رحمه الله– جريئًا في الحق، وله مواقف مع ملوك عصره تدل على جرأته في قول الحق متشبهًا في ذلك بشيخه العز بن عبد السلام، ،فكانت له مواقف شجاعة مع أحد سلاطين المماليك حينما أراد أن يجمع المال من الرعيّة لحرب التتار، ولكن ابن دقيق العيد منعه من ذلك؛ مبينًا له أن الأمراء لديهم الأموال، والذهب، وأن فيهم من جهّز ابنته لتُزَفّ إلى زوجها على طريق فُرشت بالجواهر، واللآلئ، والذهب، وهذا شبيه بموقف العزّ من الملك المظفر "قطز" حينما أراد أن يأخذ المال من الرعيَّة لحرب التتار فمنعه العزّ من ذلك حتى يحضر الأمراء ما عندهم من الذهب، والفضة، والسّروج المذهبية، وغيرها"[٣]

(١) الأعلام. الزركلي الدمشقي. (٢٨٣/٦).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى . تاج الدين السبكي.(٢٠٧/٩).
(٣) سلطان العلماء وبائع الإمراء. د. على محمد محمد الصلابي.ص. ص١٩.

ثانيًا: الإمام القرافي:

"أحمد، بن عبد الرحمن، القرافي، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي، من علماء المالكية، نسبته إلى صنهاجة من المغرب، مصري النشأة ، والوفاة[١]، "عالم زمانه، أحد الأعلام، انتهت إليه رياسة المالكية في عصره ، وبرع في الفقه، والأصول، والعلوم العقلية، والتفسير، ولا عجب فهو تلميذ العز بن عبد السلام المعروف بعلو همته، وجده، وعزيمته التي لا تلين، ملأ القرافي بعلمه الدنيا ، وقد تخرَّج على يديه عدد من العلماء الأفاضل، وقد أكثر من الكتابة والتأليف حتى أصبحت كتبه أعلامًا للسالكين ومن أجلِّها: " الذخيرة"، و"الفروق"، و"شرح التهذيب" وغيرها[٢]

ثالثًا: الإمام " جلال الدين الدشناوي":

"أحمد، بن عبد الرحمن، بن محمد، الكندي، الدشناوي، الفقيه، الأصولي، ولد سنة ٦١٥هـ في صعيد مصر، وأخذ العلم، والفقه، والحديث، والأصول على علماء عصره، وكان صديقًا لابن دقيق العيد، تلميذًا نجيبًا عند العز، وقيل لعز الدين بن عبد السلام: ما أظن في الصعيد مثل هذين الشابين، يعني الشيخ ابن دقيق العيد، والشيخ جلال الدين الدشناوي، فقال له ابن عبد السلام: ولا في المدينتين، كان من جهابذة العصر حتى بلغ مرتبة الرياسة في المذهب الشافعي، كان ورعًا، زاهدًا، عابدًا، تقيًا، له تصانيف عديدة أهمها: كتاب في المناسك سماه "مناسك الحج" ، ومقدمة في النحو، وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٦٧٧هـ"[٣]

(١) الأعلام. الزركلي الدمشقي. (٩٤/١).

(٢) سلطان العلماء وبائع الإمراء. د. على محمد محمد الصلابي. ص٢٠.

(٣) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. شمس الدين الذهبي.(١٥/ ٣٣٤) ، طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٢٢/٨).

رابعًا: الإمام "أحمد بن فرح الأشبيلي":

"أحمد، بن فرح، بن أحمد، الأشبيلي، المحّدث، الفقيه، العالم، العامل، ولد بأشبيلية سنة ٦٢٥هـ، ثم رحل إلى دمشق، وأخذ من علمائها، ثم ارتحل إلى القاهرة، والتقى بسلطان العلماء، فنهل من معينه، وأخذ من فقهه، وعلمه حتى شاخ على أقرانه، ثم استوطن دمشق، كان له سكينة، ووقارًا، وديانة، واستحضارًا ، توفي سنة ٦٩٩هـ رحمه الله"[١]

كما أن هناك الكثير من تلاميذ العز بن عبد السلام، لكنه قد تمَّ الاقتصار على هؤلاء خوفًا من الإطالة.

المطلب الخامس

مؤلفاته، ووفاته

أولًا: مؤلفاته: ترك الشيخ "عز الدين بن عبد السلام"، ثروة من المصنفات، والرسائل ا لمفيدة، والفتاوى السديدة، تبيِّن لنا منزلته الرفيعة، واطلاعه الواسع على حقائق الشريعة، وباعه الطويل في معرفة مقاصد الشريعة، وفهمه السليم لمعاني القرآن الكريم، فلقد صنف في شتى العلوم، وقد أفاض المعاصرون في الحديث عن هذه المصنفات، والتي تنقسم إلى:

ما ألَّفه في التفسير:

- "مختصر تفسير" النكت والعيون للماوردي"
- وتفسير القرآن العظيم.

(١)طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٢٧/٨).

– وفوائد في مشكل القرآن.

– والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ويختصر أحيانًا باسم "مجاز القرآن"[١]

ما ألَّفه في الحديث، والسير، والأخبار:

– "مختصر صحيح مسلم.

– شرح حديث أم زرع.

– شرح حديث لا ضرر ولا ضرار"[٢]

العقيدة وعلم التوحيد:

– "رسالة في علم التوحيد.

– إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام.

– الفرق بين الإسلام، والإيمان.

– بيان أحوال الناس يوم القيامة.

– مِلحَة الاعتقاد أو العقائد"[٣]

الفقه، وأصوله: "قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، الإمام في بيان أدلة الأحكام، مقاصد الصلاة، مقاصد الصوم، ومناسك الحج، وأحكام الجهاد

(١)العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير. د. عبد الوهاب بن إبراهيم الوهيبي. ص ١١٥. ط الثانية ١٩٨٢م، طبقات الشافعية . أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة.(١١١/٢).

(٢) طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي المالكي.(٣٢٠/١)، طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٢٤٨/٨).

(٣) العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير. د. عبد الوهاب بن إبراهيم الوهيبي. ص ١١٥، طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٢٤٨/٨).

وفضله، والغاية في اختفاء نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام الحرمين الجويني" [١]

التصوف: "شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، مقاصد الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبي، مسائل الطريقة في علم الحقيقة، الفتن والبلايا والمحن، رسالة في القطب والأبدال والأربعين"[٢]

ثانيًا وفاته:

بعد عمر ناهز الثالثة والثمانين عامًا في العلم، ونشره ، والجهاد في سبيل الله، "توفى العز بن عبد السلام في العاشر من جمادي الأولى، سنة ستين وستمائة هجرية ٦٦٠هـ، في مصر، وعمل عزاؤه في جامع العقيبة يوم الاثنين ٢٥ جمادي الأولى سنة ٦٦٠هـ، حضر جنازته الخاص، والعام، وصلِّى عليه "الظاهر بيبرس" بالقرافة، وصُلِيَّ عليه صلاة الغائب في جامع دمشق، وغيرها من الجوامع بالشام، يوم الجمعة آخر جمادى الأولى"[٣] ، "ولما بلغ السلطان خبر موته قال: لم يستقر ملكي إلا الساعة؛ لأنه لو أمر الناس في ما أراد لبادروا إلى امتثال أمره "[٤]

(١) طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي.(٣٢٠/١)، طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٢٤٨/٨).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٢٤٨/٨)، العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير. د. عبد الوهاب بن إبراهيم الوهيبي. ص ١١٦.

(٣) طبقات الشافعية . أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة.(١١١/٢).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي.(٢٤٨/٨).

المبحث الثاني:

الصفات السلبية عند سلطان العلماء العز بن عبد السلام

المطلب الأول:

تعريف الصفات السلبية، وموقف العلماء منها، ورأى "العز بن عبد السلام" فيها.

أولاً: أهمية البحث في الذات، والصفات:

قبل أن يبدأ سلطان العلماء الحديث عن الصفات السلبية، وتعريفها، يلفت الأنظار إلى أهمية البحث في ذات الباري، وصفاته، وأن معرفة ذلك من أهم أبواب العلم، ومن أوجب المطالب الشرعية؛ وذلك لأنه يترتب عليها صلاح العبد في حاله ، ومآله ، فهى معرفة مثمرة لوجوه الخير، وأنها ثابتة بالحجة، والبرهان، فيقول: "اعلم أن معرفة الذات، والصفات مثمرة لجميع الخيرات العاجلة، والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات يثمر حالًا عليه أثر، وأقوالًا سنية، وأفعالًا رضية، ومراتب دنيوية، ودرجات أخروية، فمثل معرفة الذات، والصفات﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ﴾[1]وهو: معرفة الذات﴿ ثَابِتٌ ﴾ بالحجة، والبرهان،﴿ وَفَرْعُهَا ﴾ وهو معرفة الصفات﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾مجدًا، وشرفًا، ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾[2]من الأحوال والأقوال، والأعمال ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾وهو

(١) سورة إبراهيم جزء الآية ٢٤، وكذا قوله تعالى ﴿ ثَابِتٌ ﴾ ،﴿ وَفَرْعُهَا ﴾ ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾

(٢) سورة إبراهيم جزء الآية ٢٥، وكذا قوله تعالى ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾

خالقها؛ إذ لا يحصل شيء من ثمارها إلا بإذنه، وتوفيقه"[1] فالإمام العز– رحمه الله– يحفِّز همم الطالبين للبحث والتعرُّف على ذات الله، وصفاته؛ راجيًا من وراء ذلك حصول المثوبة في العاجل، والآجل.

ثانيًا: الحديث عن النظر:

ثم بعد تحفيز الهمم للبحث في الذات، والصفات يؤكد الإمام العز وجوب النظر لمعرفة الباري تعالى، ويعقد فصلًا لذلك تحت عنوان "فصل في النظر الى معرفة الله"، وقبل أن أورد كلام الإمام العز عن النظر ووجوبه لمعرفة الباري– تعالى– ، أورد كلام علماء الكلام في تعريف النظر، ثم أعقب ذلك بكلام الإمام العز، "فالنظر في اللغة يطلق على معنيين: **الأول:** الإبصار: أي إدراك الشيء بحاسة البصر، **والثاني:** الفكر: أي حركة النفس في المعقولات، وعند المناطقة: هو ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى المجهول، (أما عند المتكلمين فقد عرَّفه إمام الحرمين[2] بقوله: هو الفكر الذي يطلب به علم،

(1) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٢٠. تحقيق أحمد فريد المزيدى . ط دار الكتب العلمية بيروت.ط الأولى ١٤٢٤هـ.

(2)إمام الحرمين (٤١٩ – ٤٧٨ هـ = ١٠٢٨ – ١٠٨٥ م)

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين، ولد في جوين من نواحي نيسابور، ورحل إلى بلاد كثيرة، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك" المدرسة النظامية"، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات كثيرة، منها:" العقيدة النظامية في الأركان الاسلامية–ط "،"" الشامل" في أصول الدين على مذهب الأشاعرة، و" الإرشاد– ط" / سير أعلام النبلاء. الذهبي. (١٧/ ٦١٧)،الأعلام. للزركلي (٤/ ١٦٠).

أوغلبة ظنٍّ، وعرّفه الرازي[١] بأنه: ترتيب تصديقات يتوصل بها إلى تصديقات أخر، وقال البيضاوي[٢]: هو ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم)[٣]

وقد أكَّد السعد التفتازاني[١]أنه" لا خلاف بين أهل الإسلام في وجوب النظر في معرفة الله- تعالى- أي لأجل حصولها بقدر الطاقة البشرية؛ لأنه أمر مقدور

(١)فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الشافعي، الإمام المفسر، الفقيه، الأصولي، المتكلم، أصله من طبرستان، ومولده في الريّ عام (٥٤٤)هـ، رحل إلى خوارزم، وما وراء النهر، وتوفي في هراة عام (٦٠٦)هـ، من تصانيفه: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، معالم أصول الدين، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، المحصول في علم أصول الفقه، المطالب العالية، أساس التقديس، وغيرها/ انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٤٨/٤)، طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي (٨٠/٨).

(٢)عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، ناصر الدين البيضاوي، الفقيه الشافعي، الأصولي، المتكلم، ولد بالبيضاء -إحدى مدن فارس- قال عنه السبكي: "كان إمامًا مبرزًا، نظارًا صالحًا، متعبدًا، زاهدًا، توفي بتبريز سنة (٦٨٥)هـ، من مصنفاته: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، منهاج الوصول إلى علم الأصول، شرح منتخب المحصول، شرح مطالع الأنظار/ انظر: طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكي (٨/ ١٥٧)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٤٨).

(٣)راجع/الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. الجويني ص٣.تحقيق محمد يوسف موسى، على عبد المنعم عبد الحميد.مكتبة الخانجي القاهرة.١٩٥٠م. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص٤٠،قدم له طه عبد الرؤف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية، طوالع الأنوار= =من مطالع الأنظار.البيضاوي.ص١٢٠،تحقيق الدكتور: محمد ربيع جوهري، ط.الأولى/ دار الاعتصام، ١٩٩٨م.

يتوقف عليه الواجب المطلق الذي هو المعرفة، وكل مقدور يتوقف عليه الواجب المطلق فهو واجب شرعًا"[٢] وقد جاء في الإرشاد أيضًا ما نصه: "فإن قال قائل: ما أول واجب على المكلف؟ قلنا: هذا مما اختلفت فيه عبارات الأئمة، فذهب بعضهم إلى أن أول واجب على المكلف معرفة الله، وذهب المحققون إلى أن أول واجب عليه النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الصانع"[٣] "وقد اختُلف في أول واجب على المكلف أنه ماذا ؟ فالأكثرون، ومنهم "الأشعري" على أنه معرفة الله – تعالى–؛ إذ هو أصل المعارف، والعقائد الدينية، وعليه يتفرع وجوب كل واجب من الواجبات الشرعية، وقيل هو النظر فيها، أي في معرفة الله سبحانه؛ لأنه واجب اتفاقًا كما مرَّ وهو قبلها، وقيل هو أول جزء من النظر؛ لأن وجوب الكل يستلزم وجوب أجزائه، فأول جزء من النظر واجب وهو

(١)السعد التفتازاني: هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني– نسبة إلى "تفتازان" من بلاد خراسان، ولد عام (٧١٢)هـ، وأخذ عن العضد الإيجي، والقطب الرازي، وغيرهما، ثم اشتهر ذكره، حتى انتهت إليه معرفة العلوم بالمشرق، وتوفي بسمرقند سنة (٧٩٢)هـ، من كتبه: تهذيب المنطق والكلام، شرح مقاصد الطالبين في أصول الدين، شرح العقائد النسفية، وغيرها /الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. بن حجر العسقلاني (٣٥٠/٤)، تحقيق: د. سالم الكرنكوي، الناشر. ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ١٩٧٢م.

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام.السعد التفتازاني.(٢٦٢/١). تحقيق: عبد الرحمن عميرة.تصدير فضيلة الشيخ صالح شرف. ط. عالم الكتب. بيروت. ط٢، ١٩٩٨م.بتصرف يسير.

(٣)الشامل في أصول الدين. أبو المعالي الجويني.ص ١٢٠. تحقيق: على سامي النشار.فيصل بديرعون. سهير محمد مختار. طبعة منشأة المعارف. الأسكندرية.١٩٦٩م.

متقدم على النظر المتقدم على المعرفة ، وقيل إنه القصد إلى النظر؛ لأن النظر مسبوق بالقصد المتقدم على أول أجزائه"[١] والأصح أن أول واجب على المكلف هو معرفة الله تعالى، وهو قول الأشعري، والحق في هذه المسألة أن النزاع فيها لفظي؛ لأنه إن أريد أول الواجبات المقصودة بالذات؛ فهي المعرفة، وإن أريد الأعم من ذلك، أي أول الواجبات مطلقًا؛ فهو القصد إلى النظر، فوجوب المعرفة وجوب للنظر؛ لأنها لا تكون بدونه، فالمعرفة مقصودة لذاتها، والنظر وسيلة إلى ذلك، ويقصد العز من وراء هذا أن يكون العلم بالله ناشئًا عن برهان، فيفيد اليقين قطعًا، لا عن تقليد[٢]، وهذا هو العلم الذي عرَّفه المتكلمون بقولهم:" الاعتقاد الجازم، المطابق للواقع، عن دليل، وبناء عليه فهو يثبت بالاستدلال؛ فهو اكتسابي، وهو أفضل ما يكتسب؛ لأن به كمال القوة النظرية، وتحصيل السعادة الدنيوية ، والأخروية، وغيُر العلم يشمل: الظنّ،

(١) المواقف.عضد الدين الإيجي.(١٦٥/١). تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة. الناشر : دار الجيل – بيروت. ط الأولى ، ١٩٩٧.عدد الأجزاء : ٣.بتصرف يسير.

(٢)التقليد: هو قبول قول الغير بلا دليل، وربما يعرّف بأنه: اعتقاد جازم غير ثابت، وقال السنوسي: هو الجزم المطابق بلا دليل/ انظر: الكليات لأبي البقاء الكفومي ص٣٠٥، تحقيق: عدنان درويش– محمد المصري. دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت– ١٤١٩هـ. الأجزاء ١، حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين للعلامة محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ص٥٤:٥٥. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٥٨هـ.، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون .التهانوي (٥٠٠/١). تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم.تحقيق: د. علي دحروج. الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت. ط الأولى – ١٩٩٦م.عدد الأجزاء: ٢.

والشك، والوهم، والجهل المركب[1]، والتقليد، ولاشك أنه لا يكفي في باب العقائد، ولا يطلب سببًا لمعرفتها"[2] وهو ما حظر منه الإمام العز، ونهى عنه في طلب

معرفة الباري– تعالى– كما سنعرف الآن

أما عن حديث الإمام العز عن النظر فإنه قد عنْوَن للنظر قائلًا: "فصل في النظر الى معرفة الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[3]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾[4]، وقال: يشرف النظر بشرف المنظور فيه؛ فالنظر في معرفة الله أفضل من كل نظر؛ لإفضائه إلى أفضل المقاصد" [5] ، فيؤكد الإمام العز هنا أن أشرف المطالب، وأعلى المقاصد طلب النظر في معرفة الباري– تعالى– فالنظر في معرفة الله شرف؛ لشرف المنظور إليه، وهذا قول عامة أهل السنَّة والجماعة من الأشعرية، والماتريدية، وكلام العز هنا عن النظر في معرفة الله دفعه إلى

(1)الجهل: هو انتفاء العلم بالمقصود، بأن لم يدرَك الشيء أصلًا ، وهو الجهل البسيط؛ أم إدراك الشيء على خلاف هيئته في الواقع، فهو الجهل المركب؛ لأنه يستلزم جهلين: جهل المُدرِك بما في الواقع، وجهله بأنه جاهل به/ راجع: الحدود الأنيقة للشيخ زكريا الأنصاري. ص٦٨. تحقيق: د.مازن المبارك، ط.الأولى.دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ١٤١١هـ ، حاشية الدسوقي ص٢١٩، أبكار الأفكار للآمدي (١/١١١)

(2)راجع/ حاشية الشيخ عبد الله الشرقاوي على شرح الهدهدي على صغرى السنوسي ص١٩، ط/ مصطفى البابي الحلبي، ١٣٣٨هـ. حاشية ابن عرفة الدسوقي على شرح أم البراهين.ص٣٠.

(٣) سورة يونس صدر الآية ١٠١.

(٤) سورة الأعراف: صدر الآية ١٨٥.

(٥) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٤٦.

تعريف النظر بقوله: "فالنظر: فكر موصِّل إلى معرفة، أو اعتقاد، أو ظنّ[١]؛ إذ لا يتقرب إلى الإله بشكٍ، ولا وهم، ولا يكتفى فيما يتعلق بذاته، وصفاته بظنٍّ، وحسبان، بل لابد من اعتقاد جازم، أو عرفان بأدلة ؛إذ لو اكتفى بالظن في ذلك لكان الظان مجوِّزًا اللعب، والنقصان على الملك الديَّان، وذلك منافٍ للتعظيم، والإجلال، والذل، والإذعان، بخلاف المعتقِد فإنه جازم بنفي النقصان[٢]

ثالثًا: عجز العقل البشري عن الإحاطة بكمال المعرفة الإلهية:

يؤكد الإمام العز هنا عجز العقل البشري عن الإحاطة التامة بكمال المعرفة الإلهية بقوله: " ثم اعلم أنه لا يوصل إلى معرفة الله– تعالى– إلا بالعجز عن معرفته؛ لأن كل إشارة يشير بها الخلق إلى الحق– سبحانه– مردودة عليهم ؛لأنها من جنسهم، مخلوقة مثلهم حتى يشير إلى الحق بالحق، ولا سبيل لهم إلى ذلك[٣] فيؤكد الإمام العز هنا عجز العقل البشري عن الإحاطة بمعرفة

(١)الظن: هو الطرف الراجح من التردد بين أمرين، والشك: هو ما استوى طرفاه، والوهم: هو الطرف المرجوح من ذلك، وأما المعرفة فهى: الجزم المطابق للحق عن دليل، فتكون مرادفة للعلم عند المتكلمين، والتحقيق أنّ المعرفة والعلم مترادفان، إلا أنّه يطلق عليه تعالى عالمٌ دون عارف، لأنها–المعرفة– تستدعى سبق الجهل، راجع/ الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة . زكريا بن محمد الأنصاري .ص٦٧،٦٨، وقارن: أبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي (١/١١٣). تحقيق الدكتور: أحمد محمد المهدي، ط٢/ دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٤هـ.

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٤٧.

(٣) زبد خلاصة التصوف(حل الرموز ومفاتيح الكنوز). العز بن عبد السلام.ص ١٣٩ تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق على وهبة. ط مكتبة الثقافة الدينية القاهرة. ط الأولى ١٤٣٠هـ.

الباري– تعالى–، وأن هذا العجز هو كمال الإدراك ، وهذا ما أكَّده الغزالي[1] – رحمه الله – بقوله : " الخاصة الإلهية ليست إلا لله– تعالى–، ولا يعرفها إلا الله –تعالى– ، ولا يتصوَّر أن يعرفها إلا هو، أو من هو مثله، وإذا لم يكن له مثل فلا يعرفها غيره " وقد أنشد البعض قائلاً:

لا يعرف الله إلا الله فاعتقدوا.....والدين دينان إيمان، وإشراك

وللعقول حدود لا تجاوزها.....والعجز عن درك الإدراك إدراك[2]

رابعًا: حقيقة معرفة الله:

يوضح الإمام العز أن النظر في الأنفس، والآفاق هو الموصل إلى معرفة صفات الله، لا إلى ذاته، فطلب معرفة حقيقة الذات من المستحيلات، يقول الإمام العز: " فإذا اشتغلت بمعرفة من أنت، شغلك بمعرفة من هو، ويجوز أن تعرف من هو، ولا يجوز أن تعرف ما هو؛ لأن ما هو؟ سؤال عن ماهية ذاته، ولا ماهية لذاته، ومن هو؟ سؤال عن أسمائه، وصفاته، وما حصل أهل الأرض

(1) الغزالي(٤٥٠ – ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ – ١١١١ م)

محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجَّة الإسلام، من أكبر علماء الكلام، والتصوف، والفلسفة ، له نحو مئتي مصنف، وكان مولده، ووفاته في (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر، وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقول بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف، من كتبه:(إحياء علوم الدين– ط)،(تهافت الفلاسفة– ط)،(الاقتصاد في الاعتقاد–ط)،(محك النظر–ط)،(مقاصد الفلاسفة– ط)،(المنقذ من الضلال–ط) وغيرها/ الأعلام. للزركلي(٧/ ٢٢).

(2)راجع/ المقصد الأسني في شرح اسماء الله الحسنى ، لأبي حامد الغزالي (ص:٤٧).تحقيق : محمد عثمان الخشت ، الناشر : مكتبة القرآن للطبع والنشر –بالقاهره ، بدون تاريخ .

والسماء إلا على الصفات، والأسماء، قال الله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1] ،وسر هذا الرمز يظهر من سؤال فرعون لموسى حين قال له موسى: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] فسأله فرعون ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] فقال موسى:﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[4] وهذا الجواب يسمى جواب العدول؛ لأنه عدل فيه عن مطابقة السؤال؛ لأن فرعون سأل عن ماهية الله– سبحانه–، وأجاب موسى عن قدرته، وصفاته، فجادله حين خلط في سؤاله، وسأل عما لا يمكن إدراكه، فجاز له أن يعدل عن سؤاله، وقد سُئل يحيى بن معاذ الرازي[5] فقيل له: أخبرنا عن الله– تعالى–، فقال: إله واحد ، فقيل: كيف هو؟ فقال : إله قادر، فقيل: فأين هو؟ فقال : بالمرصاد، فقال السائل: لم أسألك عن هذا، فقال: ما كان غير هذا فهو صفة المخلوقين، فأما صفة الخالق فالذي أُخبرت عنه"[6]

(١) سورة الزخرف: جزء الآية ٨٧

(٢) سورة الشعراء جزء الآية ١٦

(٣) سورة الشعراء: جزء الآية ٢٣

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٤

(٥) يحيى بن معاذ" (٠٠٠ – ٢٥٨ هـ = ٠٠٠ – ٨٧٢ م)

يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، واعظ، زاهد، لم يكن له نظير في وقته، من أهل الري، أقام ببلخ، ومات في نيسابور، له كلمات سائرة، منها: كيف يكون زاهدًا من لا ورع له، تورع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك "/ الأعلام. الزركلي .الباب يحيى بن معاذ (٨/ ١٧٢).

(٦) زبد خلاصة التصوف.العز بن عبد السلام. ص ١٣٥وما بعدها.

ويظهر التأثر بالمنهج الأشعري وبأعلامه من خلال النصوص السابقة لسلطان العلماء، فنلاحظ أن كلامه يشبه إلى حد كبير قول الإمام "الباقلاني[1]" حين تحدَّث عن وجوب النظر والتفكُّر في مخلوقات الله، وليس في ذات الله بقوله:" وإذا صح وجوب النظر، فالواجب على المكلف النظر، والتفكر في مخلوقات الله، لا في ذات الله، والدليل عليه قوله تعالى:﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2]ولم يقل: في الخالق، وأيضًا قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[3]" فالنظر، والتفكر، والتكييف يكون في المخلوقات، لا في الخالق، فمهما أزددت نظرًا أزددت حيرة، وأيضًا فإن موسى– عليه السلام– لما سأله اللَّعين فرعون عن ذات الله؟ أجابه بأن مصنوعاته تدل على أنه إله، ورب قادر، لا إله سواه، إذا نظر فيها، وتأمل، ولم يحدد له الذات، فلا يكيفها؛ لأنه لما قال له: "﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4] قال﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[5] إلى أن كرَّر عليه السؤال، وأجابه بمثل الأول، إلى آخر الآيات كلها، فمهما سأله عن الذات أجابه بالنظر في

(1)القاضي الباقلاني (٣٣٨ – ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ – ١٠١٣ م)
محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، قاض، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها، من كتبه: (الإنصاف– ط)(دقائق الكلام) و(الملل والنحل) و(الاستبصار)و(تمهيد الدلائل)،(التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة – ط)/الأعلام. للزركلي (٦ / ١٧٦).

(2) سورة آل عمران: جزء الآية١٩١.

(3) سورة الغاشية: الآية ١٧.

(4) سورة الشعراء: جزء الآية ٢٣

(5) سورة الشعراء الآية ٢٤

المصنوعات التي تدل على معرفته، وقيل: سُئل بعض أهل التحقيق عن الله- عز وجل- ما هو ؟ فقال: إله واحد، فقيل له: كيف هو ؟ فقال: ملك قادر، فقيل: له أين هو ؟ فقال: بالمرصاد، فقال السائل: ليس عن هذا أسألك ؟ فقال: الذي أجبتك به هو صفة الحق، فأما غيره فصفة الخلق، وأراد بذلك أن يسأله عن التكييف، والتحديد، والتمثيل، وذلك صفة المخلوق، لا صفة الخالق، ولأن المتفكر إذا تفكر في خلق السموات، والأرض، وخلق نفسه، وعجائب صنع ربه، أداه ذلك إلى صريح التوحيد؛ لأنه يعلم بذلك أنه لا بد لهذه المصنوعات من صانع، قادر، عليم، حكيم "﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾"[1] وعليه فإنه يتضح لنا من خلال هذا النص للإمام العز، وما أعقبه من نص للإمام الباقلاني أن الأوجب على الخلق التوقف عن البحث في كنه الذات، والاكتفاء بالبحث في الصفات، وهو ما فعله سلفنا الصالح- رضوان الله عليهم-، فقد توقفوا عن البحث في كنه الذات؛ لعلمهم بخطورة ذلك، وصعوبته، ولإيقانهم بعدم أهليَّة العقل البشرى عن الإحاطة بطبيعة الذات الإلهية، ومن ثمّ اختاروا طريق الإيمان المطلق، والتسليم الكامل لظاهر النصّ، مع اعتقاد التنزيه التام لله عن مشابهة خلقه، فلم يغامروا بزورق العقل، أو بزورق اللغة بالبحث في محيط لا ساحل له، ولا قرار،- أقصد الذات- بل أناطوا الأمر لمن هو أعلم به بدءًا، وانتهاءً، وهو الله تعالى .

خامسًا: حديث العز عن الصفات السلبية:

تعريف صفات السلب: صفات السلب هى:" كل صفة مدلولها عدم أمر لا يليق به- سبحانه وتعالى- أو هى: التي سلبت عن الله معنى لا يليق بذاته المقدسة ،

(1)الإنصاف.الباقلانى.ص٢٨، تحقيق الشيخ الكوثرى. والآية من سورة الشورى: عجز الآية١١.

فمعنى كون الواجب قديمًا أنه ليس حادثًا ، فقد سلبت الحدوث عن ذات الواجب، وكذا في بقية الصفات السلبية، وليست منحصرة على الصحيح في عدد معين ، وقد كلفنا الشارع بمعرفة خمسة منها تفصيلًا ؛ لأنّ ما عداها كنفي الصاحبة، والولد راجع إليها في أصولها وهى: القدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية "[1] فمعنى السلب أى النفى؛ وذلك لأنها تنفي عن الله أضداد هذه الصفات، فمدلول كل صفة نفيٌ كل أمر لا يليق بالله تعالى، فالقدم ينفي الحدوث، والبقاء ينفي الفناء، والوحدانية تنفي التعدد وهكذا، وعندما أراد الإمام العز أن يتحدث عن الصفات بدأ بالصفات السلبية، وعرفها بأنها هى :التي تسلب عن الله كل عيب ونقص، وأنها لا تنحصر في عدد معين من الصفات، وإنما كل ما لا يليق نسبته إلى الله ، ويجب نفيه عنه يدخل ضمن هذه الصفات، فهي متشعبة باعتبار مسلوباتها إلى صفات متعددة ، يقول الإمام العز:" ولهذه الشجرة– أى شجرة الذات– ثلاثة فروع، لكل فرع منها شعب، وأغصان:– **الفرع الأول: معرفة الصفات السالبة لكل عيب، ونقصان،** وهي متشعبة باعتبار مسلوباتها إلى شعب كثيرة ، كسلب السِنة، والنوم، والظلم، والعدوان"[2] ثم تحدث الإمام العز الكلام عن تقسيم الصفات السلبية إلى:– أولًا: كل ما يسلب النقص، والعيب، وسمات الحدوث، ثانيًا: كل ما يسلب المشارك في الذات، والصفات، والأفعال، ويقصد بذلك صفة الوحدانية؛ إذ لا

(1)راجع/ القول السديد في علم التوحيد، الشيخ محمود أبو دقيقة. تحقيق أ.دعوض الله حجازي. (٢٧٦/١).مطابع الأزهر، التعليقات الميسرة على شرح الجوهرة. أ.د.حسن محرم الحويني. ص ٨٨ . .مكتبة الإيمان للطباعة والنشر. والتوزيع. العجوزة. القاهرة. ط الأولى ١٤٣٧هـ.

(2) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٢١.بتصرف يسير.

ينطبق هذا الوصف إلا عليها، يقول الإمام العز: "فمن أوصافه السلب، وهو ضربان:-

أحدهما: سلب النقص، والعيب، وسمات الحدث.

والثاني: سلب المشارك في الذات،والصفات، والتصرفات: وأدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾[1]،﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[2]﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[3]﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾[4]قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍ ﴾"[5] إلى غير هذه الآيات القرآنية التي تدل على نفي كل ما لا يليق بالله- تعالى- من اللغوب عن الله، ونفي الجهل، والولد، والصاحبة، والفناء وغيرها من صفات السلب التي أكَّد العز أنها لا تنحصر في عدد معين كما ذكر، ولأن الإمام العز أفرد لصفة الوحدانية ذكر خاص بقوله:" **والثاني: سلب المشارك في الذات، والصفات، والتصرفات**"[6] فسأقوم بتعريف هذه الصفة باختصار،"فالوحدانية بفتح الواو نسبة إلى الوحدة ، فياؤها للنسب، والألف والنون للمبالغة ، ومعناها : عدم التعدد في الذات، والصفات ، والأفعال، فوحدة الذات تعني: عدم تركب الذات من أجزاء ،وعدم وجود ذات تماثل ذاته تعالى ، ووحدة الصفات تعني

(١) سورة مريم: عجز الآية٦٥.

(٢) سورة الشورى: عجز الآية١١.

(٣) سورة الإخلاص: عجز الآية٤ .

(٤) سورة الإسراء عجز الآية ١١١.

(٥) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٢٢. والآية من سورة المؤمنون. رقم ٩١.

(٦) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٢٣.

عدم وجود صفتين فأكثر من جنس واحد له تعالى ، كقدرتين، وقدرات ، وإرادتين، وارادات، وعدم وجود صفة لغير الله تماثل صفته تعالى، ووحدة الأفعال تعني عدم وجود فعل لغير الله يماثل فعله"[١] ويؤكد الإمام العز حديثه عن صفات السلب بقوله: "**النوع التاسع:** معرفة ما يجبُ سَلْبه عن ذاته– سبحانه، وتعالى– من كلِّ عَيْبٍ، ونَقص، ومن كل صفةٍ لا كَمال فيها، أو نُقصان، **النوع العاشر:** معرفة تفرده بالإلهية، والاختراع"[٢] وينتهي الإمام العز إلى تأكيد أن توحيد الله إنما يكون بمعرفة تفرده تعالى بكل صفات الذات، والسلب، والفعل، فيقول :" التوحيد معرفة الله بتوحده، وتفرُّده بكل وصف ذاتي، أو سلبي، أو فعلي، عرفه العباد، أو جهلوه؛ إذ لا يحصى أحد ثناء عليه"[٣]

والملاحظ أن الإمام العز خلال حديثه عن الصفات السلبية – لم يخرج في تعريفها عما قاله أئمة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية، مع بيان أن الصفات السلبية متشعبة، متعددة؛ باعتبار مسلوباتها، وما تنفيه من الأضداد، وأنها لا تنحصر في عدد معين من الصفات.

(١)راجع/إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين. كمال الدين أحمد البياضي.ص٧٩، تعليق: أحمد فريد المزيدي،ط.الأولى/دار الكتب العلمية، بيروت= = ١٤٢٨هـ،التمهيد لقواعد التوحيد لأبي المعين النسفي ص ١٢٩، تحقيق د: جيب الله حسن، ط الأولى. دار الطباعة المحمدية،١٤٠٦هـ/ولمزيد الدراسة عن صفة الوحدانية، يمكن الرجوع إلى/اللمع للأشعري.ص٢٠، الإنصاف للباقلاني ص٣١، شرح المقاصد للتفتازاني (٤/ ٣٤).

(٢)رسالة الأنواع في علم التوحيد ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام .ص٣٢ تحقيق. إياد خالد الطباع . بتصرف

(٣) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٢٤.

– أكد الإمام العز أهمية البحث في الصفات، مع التأكيد على عدم القدرة على معرفة الذات الإلهية كما سبق بيانه.

المطلب الثاني:

حديث العز بن عبد السلام عن التنزيهات

تحدث الإمام العز في هذا المطلب عن التنزيهات، "ومعنى التنزيهات: سلب مالا يليق بالواجب عنه"[١]، من الجسمية، والجوهرية، والعرضية، وإثبات أنه متفرد بالألوهية، موصوف بالأزلية، والأبدية، مستغن عن الموجب، والموجد، ليس له نظير، أو شبيه، أو مثيل، أو مكافئ، يقول الإمام العز في بيان ذلك :"(أما الذات فتُوحَّد بالإلهية، والأزليَّة[٢]، والأبدية[٣]

(١) شرح المقاصد في علم الكلام. سعد الدين التفتازاني.(٣١/٤).

(٢) للعلماء في الفرق بين القديم، والأزلي ثلاثة أقوال:-

الأول : أنّ القديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده ، والأزلي ما لا أول له عدميًا، أو وجوديًا فهو أعم من القديم، ويترتب علي هذا أنّ الذات، والصفات الثبوتية توصف بالقدم، والأزلية، بخلاف الصفات السلبية فإنها توصف بالأزلية، دون القدم ، **الثاني :** أنّ القديم هو القائم بنفسه الذي لا أول لوجوده ، والأزلي ما لا أول له وجوديًا ، أو عدميًا ، قائمًا بنفسه ، أو بغيره ، فهو أعم من القديم أيضًا، ويترتب عليه أنّه لا يوصف بالقدم إلا الذات ، أما الصفات مطلقاً فتوصف بالأزلية ، ولا توصف بالقدم ، **الثالث :** أنّ كلًا من القديم والأزلي هو ما لا أول له عدميًا ، أو وجوديًا ، قائماً بنفسه ، أو بغيره ، فهما مترادفان ، وينبني على هذا القول أنّ الذات والصفات تتصف بالقدم، والأزلية . راجع / حاشية الشيخ عبدالله الشرقاوي علي شرح العلامة محمد بن منصور الهدهدي علي أم البراهين المعروفة بصغري السنوسي.ص ٥٢ ، التعليقات الميسرة على شرح الجوهرة، أ.د حسن محرم الحويني.ص ٨٥. مكتبة الإيمان للطباعة والنشر. والتوزيع. العجوزة. القاهرة. ط الأولى ١٤٣٧هـ.

(٣)الأبدية أى البقاء : وهو سلب العدم اللاحق للوجود، فالباقي هو الموجود الذي لا يلحق وجوده عدم، وبرهان وجوبه له– تعالى– أن لو لم يجب له البقاء لكان قابلًا لاستمرار الوجود

والاستغناء عن الموجب[١] بالتقديس عن الشبيه، والنظير[٢] مع عموم متعلقاتها، ونفيُ الكفء[٣]، والسميّ[٤]، والقسيم[٥]، والنظير، والشبيه، والظهير[١])[٢]

وطروّالعدم، فيلزم من ذلك أنه يحتاج في ترجيح استمرار وجوده إلى مخصص يكون حادثًا ، لكن حدوثه باطل، فبطل ما أدي اليه، وهو احتياجه في ترجيح استمرار وجوده إلى مرجح ، وإذا بطل ذلك ، بطل ما أدي إليه وهو كونه قابلاً للوجود ، والعدم ، فيبطل ما أدي إليه وهو انتفاء وجوب بقائه تعالى، وثبت نقيضه، الذي هو وجوب البقاء له تعالى، راجع/ حاشية الشرقاوي على الهدهدي. ص ١٠٦.

(١)قال العضد الإيجي في الفرق بين القدرة، والإيجاب:" قادر أي: يصح منه إيجاد العالم، وتركه ،فليس شيء منهما لازمًا لذاته، بحيث يستحيل انفكاكه عنه، وإلى هذا ذهب الملِّيون كلهم ،وأما الفلاسفة فإنهم قالوا: إيجاده للعالم على النظام الواقع من لوازم ذاته، فيمتنع خلوه عنه، فأنكروا القدرة بالمعنى المذكور؛ لاعتقادهم أنه نقصان، وأثبتوا له الإيجاب؛ زعما منهم أنه الكمال التام."/ المواقف.عضد الدين الإيجي.(٣/٨٠).

(٢)جاء في الفرق بين المثيل، والشبيه، والنظير أن المثيل أخص الثلاثة، والشبيه أعم من المثيل، وأخص من النظير، والنظير أعم من الشبيه، فالمماثلة إنما هي المساواة من كل وجه، والمشابهة تكون في أكثر الوجوه، والمناظرة في شيء ولو في وجه واحد / راجع في الفرق بينهما: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأبي العباس أحمد بن محمد الفيومي.(٦١٢/٢). الناشر : المكتبة العلمية – بيروت. عدد الأجزاء : ٢

(٣)كل شيءٍ ساوى شيئًا حتى يكون مثله فهو مكافئ له/ الكليات.أبى البقاء الكفوى.(١٢٨٥/١)

(٤) سميُّ الشيء: من وافقه في اسمه، أو نظيره/ المعجم الوسيط .إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر.(٤٥٣/١) تحقيق. مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة. الأجزاء ٢.

(٥)(القسيم) من يقاسم غيره شيئًا ، وقسيم الشيء شطره ، جمعه أقسماء / المعجم الوسيط . إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار(٢ / ٧٣٥) .

يؤكد الإمام العز من خلال هذا النص تنزيه ذات الباري عن كل صفات الحوادث، فهو منزَّه عن الشبيه، والنظير، والمثيل، والسميّ، والمكافئ، وليس هذا هو الموضع الوحيد الذي يتحدث الإمام العز فيه عن تنزيه الباري، ومخالفة ذاته–تعالى– لسائر الموجودات، وإنما أكَّدها في موضع آخر بقوله :"(اعلم أن حقوق الله تعالى على القلوب منقسمة إلى المقاصد، والوسائل، **فأما المقاصد:** فكمعرفةِ ذاتِ الله، وصفاته، **وأما الوسائل:** فكمعرفة أحكامه تعالى، فإنّها ليست مقصودةً لِعَيْنِها، وإنما هي مقصودة للعمل به، والحقوق المتعلقة بالقلوب أنواع:– **النوع الأول:** معرفةُ ذاتِ الله –سبحانه وتعالى– وما يجب لها، من الأزلية، والأبدية، والأحَدِيّة،وانتفاء الجوهرية[٣]، والعَرَضِيّة[٤]، والجسمية،

(١)الظَّهِيرُ: المعين يطلق على الواحد، والجمع، وفي التنزيل ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ التحريم: جزء الآية ٤ / المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي.(٣٨٧/٢).

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٢٤.

(٣) الجوهر عند المتكلمين: موجود متحيز بالذات ، وعند الحكماء : ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع/ راجع شرح المواقف الإيجي. (٢٨٥/٦).

(٤) العرض عند المتكلمين هو : موجود قائم بمتحيز، فالموجود في الخارج إنْ لم يسبق بعدم ، فهو القديم ، وإلا فحادث ، فإنْ كان الحادث متحيزًا بذاته ، فهو الجوهر، وإنْ كان متحيزاً بالتبعية ، فهو العرض، والعرض إما مختص بالحيِّ، كالحياة، أو غير مختص بالحيِّ، كالأكوان الأربعة، أما الحكماء فالعرض عندهم محصور في مقولات تسع وهي: الكم، والكيف، والوضع ، والملك ، والأين، والمتى ، والإضافة، والفعل، والانفعال/ التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض، الحسن بن أحمد بن متويه النجراني المعتزلي.ص ٣٣. تحقيق:

والاستغناء عن الموجب، والتوحد بذلك عن سائر الذوات)[١] فأكَّد الإمام العز هنا أن الباري- تعالى- ليس بجوهر، ولا عرض، وليس بجسم، فهو واحد، أزليٌّ، أبديٌّ، مريد، مختار، مستغنٍ عن الموجب، متمشيًا في هذا التصور مع أئمة المذهب الأشعري الذين أكَّدوا مخالفة ذاته- تعالى- لسائر الذوات بقولهم:" ذهب نفاة الأحوال[٢] كالشيخ أبي الحسن الأشعري[٣]

وأبي الحسين البصري[٤] -من المعتزلة- إلى أن ذاته-تعالى- مخالفة لسائر الذوات، لذاته المخصوصة، لا لأمر زائد عليها، وذهب مثبتوها إلى أن ذاته-

د/ سامي نصر، وفيصل بدر عون. الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر، وشرح المواقف. الإيجي. (٨/٥) .

(١)رسالة الأنواع في علم التوحيد ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام .ص٣٠. تحقيق. إياد خالد الطباع . بتصرف.

(٢)الحال: صفة لموجود غير متصفة بالوجود أو العدم،أو هو الواسطة بين الموجود والمعدوم./انظر: الإرشاد. الجويني. ص٨٠، شرح المواقف ، العضد الإيجي.(٣/ ٣)

(٣)إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مولده: سنة ستين ومائتين، وقيل: بل ولد سنة سبعين ومائتين، وكان عجبًا في الذكاء، وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه، وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ومات ببغداد سنة ٣٢٤هـ، له مصنفات كثيرة منها:(خلق الأعمال)،و(الصفات)، و(الرد على المجسمة)، و(إيضاح البرهان)، و(اللمع في الرد على أهل البدع)، (الشرح والتفصيل)، (النقض على الجبائي)، (الرد على ابن الراوندي)./ سير أعلام النبلاء. الذهبي. (١٥/ ٨٥:٨٨).

(٤)البصري (٠٠٠- ٤٣٦ هـ =٠٠٠- ١٠٤٤م) محمد بن علي الطيب، أبو الحسين، البصري: أحد أئمة المعتزلة، ولد في البصرة، وسكن بغداد وتوفي بها، من كتبه (المعتمد في أصول الفقه)و(تصفح الأدلة) و(شرح الأصول الخمسة) و(الامامة)/الأعلام للزركلي (٦ / ٢٧٥).

تعالى– مماثلة لسائر الذوات، وإنما تمتاز عنها بأحوال أربعة– كما عند أبي علي الجبائي[١]– هي: الواجبية، والحييّة، والعالميّة التامة، والقادرية التامة، وذهب "أبو هاشم"[٢] إلى أنه يمتاز بحال خامسة، موجبة لهذه الأربعة هي الإلهية، ومخالفته –تعالى– لسائر الحوادث في الصفات؛ لأنه لا يسدّ شيء من الحوادث مسدّ الباري –تعالى–في شيء من الصفات؛ فصفاته –تعالى– قديمة، وصفات الحوادث حادثة"[٣]، وقال الإمام العز في موضع آخر من تنزيهاته لله تعالى:" ليس بجسم مصوَّر، ولا جوهر محدود، ولا مقدَّر، ولا يشبه شيئًا، ولا يشبهه شيء ، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون، ولا السّماوات، كان قبل أن يكون المكان[٤]

(١)الجبائي (٢٣٥ – ٣٠٣ هـ = ٨٤٩ – ٩١٦ م) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي: من أئمة المعتزلة والكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة (الجبائية)، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب، نسبته إلى جبى من قرى البصرة) ودفن بها له (تفسير) حافل مطول، ردَّ عليه الأشعري/ الأعلام للزركلي (٦ / ٢٥٦).

(٢)أبو هاشم المعتزلي (٢٤٧ – ٣٢١ هـ = ٨٦١ – ٩٣٣ م) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي من كبار المعتزلة، تبعته فرقة نسبت إليه ، وله مصنفات منها: " الشامل – خ " في الفقه، و" تذكرة العالم، وغيرها/ الأعلام للزركلي (٧/٤) .

(٣) راجع/ حاشية المولى حسن جلبي الفناري على شرح المواقف (١٧/٨)، شرح المقاصد. السعد التفتازاني. (٢٥/٤).

(٤)المكان–عند المتكلمين–: هو الفراغ المتوهم إذا شغله جسم؛ فهو عدمي عندهم، أما عند الحكماء فهو وجودي، وفسروه بأنه: السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي. انظر/ الحدود لابن سينا (ص٣٢). تحقيق: آن ماري جيشيون، الناشر/ المعهد الفرنسي للآثار الشرقية،(١٩٦٣)م، التعريفات للجرجاني(٢٩٢/١).

ودبَّر الزمان[١]، وهو الآن على ما عليه كان"[٢] وهذه الصورة من التنزيهات لا تخرج عما ذكره العضد الإيجي في المواقف خلال حديثه عن تنزه الباري– تعالى– عن الجسمية، والجوهرية، والعرضية، والجهة، والزمان، والمكان، وكذلك الجويني في لمعة الأدلة[٣] وقال العز أيضًا في موضع آخر منزهًا الباري تعالى من مشابهة الحوادث: " الحمد لله الذي كيَّف الكيف، وتنزَّه عن الكيفية ، وأيَّن الأين، وتعزَّز عن الأينية، ووُجد في كل شيء، وتقدَّس عن الظرفية، وحضر عند كل شيء، وتعالى عن العندية ، وهو أول كل شيء، وليس له أوليَّة ، وآخر كل شيء، وليس له آخرية،لا يسبق بقبلية، ولا يلحق ببعدية، ولا يقاس بمثلية، ولا يقرن بشكلية، ولا يوصف بجوهرية، ولا يعرف بجسمية "[٤]

ونخلص من كلام العز بن عبد السلام في هذا المطلب إلى:

– تنزيهه للباري تعالى عن الحادثات، ولوازمها من الجسمية، والجوهرية، والعرضية وغيرها من سمات الحوادث.

– يظهر جليًا تأثر "العز بن عبد السلام " في عرضه لتنزيهاته بطريقة المتكلمين، خصوصًا طريقة القاضي الباقلاني، وإمام الحرمين الجويني،

(١)الزمان عند المتكلمين: هو متجدد معلوم يقدر به متجدد موهوم، وقيل: هو نفس الاقتران بينهما، فهو نسبة –موهومة– بين متناسبين، وعند الحكماء: هو مقدار الحركة من جهة المتقدم والمتأخر. وقيل: هو نفس الحركة. انظر/ التعريفات للجرجاني. (١٥٢/١).

(٢) المِلحَة في اعتقاد أهل الحق ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام .ص١١. تحقيق. إياد خالد الطباع . ط دار الفكر المعاصر. دمشق.ط الأولى ١٤١٥هـ.

(٣) راجع/ المواقف . العضد الإيجي.(٢٩/٣: ٥٩)، لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة. الجويني. تحقيق: د.فوقية حسين(١ /١٠٧).الناشر: عالم الكتب – بيروت. ط الثانية ، ١٩٨٧م.

(٤)رسالة العز بن عبد السلام في التوحيد ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام. تحقيق. إياد خالد الطباع .ص٣٧ وما بعدها. بتصرف.

والعضد الإيجي، والسعد التفتازاني؛ بدليل اتفاق كلامهم مع العز في هذه المسائل

المطلب الثالث:

حديث العز بن عبد السلام عن الحشوية، ورأيه في استواء الله على عرشه، وقرب الباري تعالى من خلقه.

أولًا: الحديث عن الحشوية:

يقول الإمام العز:" والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ضربان:- **أحدهما** لا يتحاشى من إظهار الحشو، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [1] ، **والآخر** يتستر بمذهب السلف ؛ لسحت يأكله، أو حطام يأخذه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾[2] ومذهب السلف إنما هو التوحيد، والتنزيه، دون التجسيم، والتشبيه[3] ، وكذلك جميع المبتدعة

(1) سورة المجادلة عجز الآية ١٨.

(2) سورة النساء: صدر الآية ٩١ .

(3)المشبهة، والمجسمة هم الذين نسبوا الله- تعالى- إلى الجسمية، وأسندوا إليه سبحانه كثيرًا مما يسند إلى الجسم، وقد نقل كثير من العلماء عن بعضهم كلامًا في حق الله تعالى ربما دلَّ على التنقيص، والاستهزاء بالله تعالى، فضلاً عن التجسيم، ولا صلة لكلامهم لا بالعلم، ولا بالدليل، وجملة المشبهة صنفان:- صنف منهم يشبِّه ذاته بغيره من الذوات، وصنف منهم يشبِّه صفاته بصفات أغياره، وأول من أفرط في التشبيه من هذه الأمة هم السبأية من الروافض الذين قالوا بألوهية عليّ- كرم الله وجهه-، ثم البيانية أتباع "بيان بن سمعان" الذي كان يقول: أن معبوده نور، صورته صورة إنسان، وله أعضاء كأعضاء الإنسان، وأن جميع أعضائه تفنى إلا الوجه، ومن أكثر الفرق شهرةً في مسألة التشبيه (الكرَّامية) فقد ذهب زعيم

يزعمون أنهم على مذهب السلف، وكيف يدعي على السلف أنهم يعتقدون التجسيم، والتشبيه، أويسكتون عند ظهور البدع ، ويخالفون قوله تعالى:﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[2]، والعلماء ورثة الأنبياء ، فيجب عليهم من البيان ما يجب على الأنبياء، قال تعالى :﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3] ومن أنكر المنكرات التجسيم، والتشبيه، ومن أفضل المعروف التوحيد، والتنزيه ، وإنما سكت السلف قبل ظهور البدع ، فورب السماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع ، لقد تشمَّر السلف للبدع لما ظهرت، فقمعوها أتم القمع، وردعوا أهلها أشد الردع ، فردوا على الجهمية، وغيرهم من أهل البدع ، فجاهدوا في الله حق جهاده، والجهاد ضربان:- ضرب بالجدل، والبيان ، وضرب بالسيف، والسنان؛ فليت شعري، فما الفرق بين مجادلة الحشوية، وغيرهم من أهل البدع! ولولا خبث في الضمائر، وسوء اعتقاد في السرائر، ولولا ما انطوى عليه باطنهم من التجسيم والتشبيه لأجابوا في مسائل الحشو

هذه الفرقة "محمد بن كرَّام" إلى أن "معبوده على العرش استقرارًا ،وأنه بجهة فوق ذاتًا، وأطلق عليه اسم الجوهر"/راجع إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل. بن جماعة .(٢٧/١). تحقيق : وهبي سليمان. الناشر. دار السلام .ط. الأولى. ١٩٩٠م، الملل والنحل. الشهرستاني.(١٠٠/١).

(١) سورة البقرة: الآية ٤٢.

(٢) سورة آل عمران، صدر الآية١٨٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية١٠٤.

بالتوحيد، والتنزيه ، ولم تزل هذه الطائفة المبتدعة ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[1]ولا تلوح لهم فرصة إلا طاروا إليها ، ولا فتنة إلا أكبُّوا عليها ، وأحمد بن حنبل، وفضلاء أصحابه، وسائر علماء السلف براء إلى الله مما نسبوه إليهم ، واختلفوا عليهم"[2]

وأعقب على كلام الإمام العز عن الحشوية فأقول: إن إيمان "العز بن عبد السلام"، وغيره من علماء الأمة بمذهب أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية، وردِّهم لمذهب أهل الحشو يستند إلي اعتقادهم بأن الأشاعرة هم أهل المذهب الوسط بين المذاهب المائلة إلي الإفراط، أوالتفريط،"فالفرقة الأشعرية هم المتوسطون في ذلك، وهم الغالبون من الشافعية، والمالكية، والحنفية، وفضلاء الحنابلة، وسائر الناس، وأما المعتزلة فكانت لهم دولة في أوائل المائة الثالثة، ساعدهم بعض الخلفاء، ثم انخذلوا، وكفى الله شرهم، وهاتان الطائفتان– الأشعرية، والمعتزلة–هما المتقاومتان، وهما فحولة المتكلمين من أهل الإسلام، والأشعرية أعدلهما؛ لأنها بنت أصولها علي الكتاب، والسنَّة، والعقل الصحيح، وأما الحشوية فهم طائفة رذيلة، جهَّال، ينتسبون إلي الإمام أحمد بن حنبل، وأحمد مبرَّأ منهم، ثم جاء في أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء، واطلاع ، ولم يجد شيخًا يهديه، وهو علي مذهبهم ، وهو جسور، متجرِّد لتقرير مذهبه، ويجد أمورًا بعيدة، فبجسارته يلتزمها، فشقَّ العصا، وشوَّش عقائد المسلمين وأغرى بينهم"[3] فادعاء الحشوية أنهم ينتمون إلى الإمام أحمد بن حنبل ادعاء

(1) سورة المائدة: عجز الآية ٦٤.

(2)المِلحَة في اعتقاد أهل الحق ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام. تحقيق. إياد خالد الطباع .ص١٦:١٩ وما بعدها. بتصرف.

(3)السيف الصقيل في الرد علي ابن زفيل لتقي الدين السبكي صـ٢٢ ، ٢٣.

باطل، فلم يكن لهم ثمة وجود في حياة السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وما ظهر لهم قول إلى مع ظهور الشيخ ابن تيمية، وأود أن أؤكد "أن التمذهب بالسلفية الذي يحتل في تصور كثير من الناس اليوم محل ذلك النزاع الجامع، لم يكن معروفًا لدى أهل السنة والجماعة، من السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة الأولى، ولم يكن الانضواء تحت شعاره ليخطر منهم على بال"[1]

ثانيًا :الاستواء على العرش:

تمهيد: تعددت آراء المذاهب الكلامية في استواء الله– تعالى– على عرشه، فذهب أهل الإثبات إلى أن استواءه على العرش يعني استقراره عليه استقرارًا حقيقيًا، نافين تأويله بالاستيلاء، أو بأيِّ معنى آخر، مدَّعين أن تأويل[2] ذلك هو تحريف للكلم عن مواضعه فقالوا:" فإن الله– تعالى– أثبت لنفسه أنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه كلها بلفظ (استوى)، وبلفظ (على العرش)، وإذا رجعنا إلى الاستواء في اللغة العربية وجدناه إذا عُدِى بعلى لا يقتضي إلا الارتفاع، والعلو، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [3]وأمثالها من الآيات: أنه علا على عرشه علوًّا خاصًا، غير العلو

(1)السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي .د/ محمد سعيد رمضان البوطي. ص ٣٢٠. ط دار الفكر . دمشق سوريا . ط. الأولي م١٩٨٨.

(2)التأويل في الأصل: الترجيع، وفي الشرع: صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله، إذا إذا كان المحتمَل الذي يراه موافقًا للكتاب والسنَّة، ثم إن كان لدليل فصحيح، أو لا لشيء ففاسد، قال الفيروز آبادي: "وأما التأويل فصرف معنى الآية بوجه تحتمله الآية، ويكون موافقًا لما قبله، ملائمًا لما بعده". انظر/ التعريفات للجرجاني (ص٧٢)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز .الفيروزآبادي (٧٩/١)، تحقيق.محمد علي النجار، ط٣/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة (١٤١٦هـ)

(3) سورة طه: الآية ٥

العام على جميع الأكوان، وهذا العلو ثابت لله – تعالى– على وجه الحقيقة، فهو عالٍ على عرشه ، وقد أخطأ خطأً عظيمًا من قال: إن معنى استوى على العرش استولى على العرش؛ لأن هذا تحريف للكلم عن مواضعه، ومخالف لما أجمع عليه الصحابة –رضوان الله عليهم– والتابعون لهم بإحسان، ومستلزم للوازم باطلة، لا يمكن لمؤمن أن يتفوَّه بها بالنسبة لله – عز وجل– ، فإذا فُسِّر الاستواء بالاستيلاء فقد حرَّف الكلم عن مواضعه؛ حيث نفى المعنى الذي تدل عليه لغة القرآن وهو العلو، وأثبت معنى آخر باطلاً [١] وللرد على ذلك أقول: إن من السلف من أوَّل معنى الاستواء في قوله تعالى:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[٢] تأويلًا إجماليًا؛ بأن فوَّض علم المعنى إلى الله– تعالى– فقال: استواءً لا نعلمه، وأن المعنى المقصود منه لا يعلمه إلا الله، فقد سأل رجلُ الإمام مالك عن هذه الآية فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً، وأمر به فأُخرج[٣]، "ومنهم من أوَّل الاستواء تأويلًا تفصيليًا بمعنى بالعلو، والارتفاع"[٤]، وقال

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين.(١/ ٢٣)تحقيق: فهد بن ناصر بن إبراهيم.الناشر : دار الوطن– دار الثريا. ط :١٤١٣ هـ. الأجزاء : ٢٠.بتصرف يسير.

(٢) سورة طه، آية (٥).

(٣)راجع/ آيات الأسماء والصفات. محمد الشنقيطي، ص٣٨، تحقيق: عطية محمد سالم، ط الدار السلفية الكويت، ط. الرابعة:١٤٠٤هـ، والأسماء والصفات نقلاً وعقلاً، للشنقيطي،ص٣٢، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط.الخامسة١٣٩٣هـ–١٩٧٣م.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري.(١٩١/١) .المحقق : أحمد محمد شاكر.ط. مؤسسة الرسالة.ط الأولى،١٤٢٠هـ.

جعفر الصادق[1]: من زعم أن الله في شيء، أو من شيء ،أو على شيء فقد أشرك به؛ إذ لو كان على شيء لكان محمولًا، ولو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان محدثًا" [2]

رأى الإمام العز في استوائه– تعالى– على العرش:

قال العز بن عبد السلام وهو يتحدث عن معنى استواء الله على العرش:

"استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواءً منزهًا عن المماسة، والاستقرار، والتمكُّن، والحلول، والانتقال، فتعالى الله الكبير المتعال، عما يقوله أهل الغيِّ، والضلال، بل لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، مطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر"[3] والملاحظ أن الإمام العز هنا قد فوَّض معنى الاستواء إلى الله، نافيًا في الوقت ذاته أىّ قرب لهذا التفويض من معنى المماسة، أو الاستقرار، أو المماسة، أوالانتقال كما يدعى حشوية العصر، متشبهًا في ذلك بالإمام الأشعري في إبانته عندما قال: "وجـــملـــة قـــولنا: أنَّا نقرُ بالله، وملائكته، وكتبه ، ورسله، وبما جاءوا به من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله –

(1) جعفر الصادق (٨٠ – ١٤٨ هـ = ٦٩٩ – ٧٦٥ م)=

=جعفر، بن محمد، بن علي زين العابدين، بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق: سادس الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة، ومالك، ولقب بالصادق؛ لأنه لم يعرف عنه الكذب قط./ راجع: الأعلام، للزركلي. [١٢٦/٢].

(2) راجع/الإنصاف للباقلاني. ص٢١٠.

(3)المِلحَة في اعتقاد أهل الحق ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام .ص١١.

ρ–، لا نردُّ من ذلك شيئًا ، .....، وأن الله– تعالى– استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزهًا عن المماسة، والاستقرار، والتمكُّن، والحلول، والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلي تخوم الثرى، فوقيَّة لا تزيده قربًا إلي العرش، والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلي العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد"[١]

يقول الإمام العز: "سُئل بعض العارفين عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢] ؟ فقال الحق– سبحانه– عرَّفنا بهذا القول من هو، وما عرَّفنا ما هو؛ لأنه لا يعرف ما هو إلا هو، وقيل لصوفى أين الله؟ فقال قبَّحك الله، تطلب مع العين أين، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٣] وسُئل "الشبلي[٤]"عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

(١) الإبانة عن أصول الديانة . الأشعرى. ص ٢٠ : ٢٢ . تحقيق د/ فوقية حسين محمود . ط. دار الأنصار، ط ١ ، ١٣٩٧هـ. بتصرف يسير.

(٢) سورة طه الآية ٥.

(٣) سورة الحديد: عجز الآية ٤.

(٤) "أبو بكر الشبلي" (٢٤٧ – ٣٣٤ هـ = ٨٦١ – ٩٤٦ م) دلف بن جحدر الشبلي: ناسك، أصله من خراسان، ونسبته إلى قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر، ومولده بسر من رأى، ووفاته ببغداد كان في مبدأ أمره واليًا، ثم ترك الولاية، وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح، له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة،. اشتهر بكنيته/ الأعلام. الزركلي.(٣٤١/٢).

ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1] فقال: الرحمن لم يزل، والعرش محدث، فالعرش بالرحمن استوى، وسُئل "ذو النون"[2] عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[3] ؟ فقال أثبت ذاته، ونفى مكانه، فهو موجود بذاته، والأشياء كلها موجودة بحكمته كما شاء، وسُئل الإمام أحمد بن حنبل[4]عن الاستواء، فقال: استوى كما أخبر، لا كما يخطر للبشر، وسُئل الإمام الشافعي عن الاستواء فقال: آمنت بلا تشبيه ، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك"[5]

وتأثُّر الإمام العز بأعلام المذهب الأشعري في مسألة الاستواء على العرش تبدو واضحة، جليلة، خاصة عند القاضي الباقلاني الذي قال:" فيجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث، أو على سمة النقص، فالرب– تعالى– يتقدس عنه، فمن ذلك أنه – تعالى– متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف

(١) سورة طه الآية ٥.

(٢) "ذو النون المصري" (٠٠٠– ٢٤٥ هـ = ٠٠–٨٥٩ م) ثوبان بن إبراهيم الأخميمي المصري، أحد الزهاد العباد المشهورين، من أهل مصر، نوبي الأصل، كانت له فصاحة ، وحكمة، وشعر، وهو أول من تكلم بمصر في الأحوال والمقامات / الأعلام. الزركلي (١٠٢/٢).

(٣) سورة طه الآية ٥.

(٤)ابن حنبل(١٦٤– ٢٤١ هـ =٧٨٠ –٨٥٥ م) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الائمة الأربعة، ولد ببغداد، وسافر في طلب العلم أسفارًا كبيرة إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، وغيرها، صنف(المسند– ط) و(الناسخ والمنسوخ) و(التفسير)و(فضائل الصحابة) و(الزهد– خ)،الأعلام. للزركلي (١/ ٢٠٣).

(٥) زبد خلاصة التصوف(حل الرموز ومفاتيح الكنوز).العز بن عبد السلام.ص ١٣٦وما بعدها.

بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحوُّل، والانتقال، ولا القيام، والقعود؛ لقوله تعالى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[1]وقوله﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[2]، ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله- تعالى- يتقدس عن ذلك "فإن قيل: أليس قد قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[3]قلنا: بلى، قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب، والسنَّة، لكن ننفي عنه أمارة الحدوث، ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار، ولا مكان؛ لأن الله تعالى كان، ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان، وقد سُئل الشبلي عن قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[4] فقال: الرحمن لم يزل، ولا يزول، والعرش محدث، والعرش بالرحمن استوى"[5] وعلى ذلك فالإمام العز في مسألة استواء الله على عرشه سلك مذهب السلف الصالح من أئمة المسلمين في تفويض أمر استواء الله على عرشه، من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا حشو متناقض، مؤكدًا أن الظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين في أمر الاستواء منفيٌ عن الله، لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [6] وهذه طريقة

(١) سورة الشورى: عجز الآية١١.

(٢) سورة الإخلاص: عجز الآية٤ .

(٣) سورة طه الآية ٥.

(٤) سورة طه الآية ٥.

(٥)الإنصاف. الباقلانى ص ٣٩ ، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. الأشعري. ص ٢٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم. بن كثير. تحقيق. سامي محمد سلامة (٤٢٦/٣).الناشر. دار طيبة .ط : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م. ، والآية من سورة الشورى عجز الآية ١١.

السلف الصالح فإنهم كانوا –رضوان الله عليهم– وقَّافين عند الظواهر يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه، تاركين العلم بكيفية ذلك أو معناه الحقيقيُّ إلى الله عز وجل .

ثانيًا : قرب الباري– تعالى– من خلقه

تعددت أقوال أهل العلم في تفسير القرب، والهرولة وغيرها من الصفات المنسوبة لله– تعالى–، فأوَّلها البعض عند تفسير قوله– تعالى– ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[1] فقيل:" قريب علمًا، وإجابة، بتعاليه عن القرب مكانًا"[2]، "فليس قرب مسافة؛ فإنه – تعالى– منزَّه عن هذا، وإنما هو قرب رُوحاني"[3]، "وقيل: إنه تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه ، وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بمن قرب مكانه، فإذا دعا أسرعت تلبيته"[4] وزكَّى هذه المعاني التأويلية "القاضي عياض"[5]، قائلًا:" وأما المشى بطيؤه، وسريعه، والتقرُّب بالذراع، والباع فمن صفات الأجسام، والله –سبحانه– ليس

[1] سورة البقرة: جزء الآية ١٨٦.

(٢) تفسير النسفي.(٩١/١). ط صبيح : القاهرة .

(٣) أبو الفرج بن الجوزي وآراءه الكلامية والأخلاقية : د. آمنة محمد نصير. ص ١٤١. دار الشروق. ١٤٠٧ هـ .

(٤) فتح القدير. للشوكاني(٢٥٣/١) . تحقيق د. عبد الرحمن عميرة . ط.دار الوفاء: المنصورة – ط١ ، ١٤١٥ هـ .

[5] القاضي عياض (٤٧٦ – ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ – ١١٤٩ م)

عياض، بن موسى، بن عياض، بن عمرون، اليحصبي، السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب، وأنسابهم، وأيامهم، ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، من تصانيفه: " الشفا بتعريف حقوق المصطفى– ط ""، و" شرح صحيح مسلم– خ " ،و"الأعلام بحدود قواعد الإسلام– ط " /الأعلام. للزركلي (٥/ ٩٩).

بجسم، ولا يجوز عليه تنقُّل، ولا حركة، ولا سكون، وهذا واضح بيِّن، فيجوز أن يكون معنى قوله: من تقرب إليّ شبراً: أي بالقصد، والنية، قربته توفيقًا وتيسيرًا ذراعًا، وإن تقرَّب إليّ بالعزم والاجتهاد ذراعًا قرَّبته بالهداية والرعاية باعاً، وإن أتاني معرضًا عمن سواى مقبلًا إليَّ أدنيته، وحلْت بينه وبين كل قاطع، وسبقت به كل مانع ، وهو معنى الهرولة"[١]

وأما المثبتة فأثبتوا لله قربًا على الحقيقة[٢] وقالوا في قول النبي– صلى الله عليه وسلم–:" وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[٣]:" لا تستوحش يا أخي من شيء أثبته الله – تعالى– لنفسه ، واعلم أنك إذا نفيت أن الله– تعالى– يأتي هرولة فسيكون مضمون هذا النفيّ صحة أن يقال: إن الله لا يأتي هرولة، وفي هذا ما فيه، ومن المعلوم أن السلف يؤمنون بأن الله– تعالى– يأتي إتيانًا حقيقيًا للفصل بين عباده يوم القيامة على الوجه اللائق به كما دلَّ على ذلك كتاب الله– تعالى–، وليس في هذا الحديث القدسي إلا أن إتيانه يكون هرولة لمن أتاه يمشي، فمن أثبت إتيان الله– تعالى– حقيقة لم يشكل عليه أن يكون شيء من هذا الإتيان بصفة الهرولة على الوجه اللائق به بدون تكييف، ولا تمثيل شيء من النقص حتى يقال إنه ليس ظاهر الكلام بل هو فعل من أفعاله، يفعله كيف يشاء"[٤] وهذه الصورة من الإثبات على الحقيقة ثم التعقيب بعدها بمقولة

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم. القاضي عياض.(١٧٤/٨). تحقيق د/ يحيي إسماعيل، ط. دار الوفاء للطباعة والنشر. ط. الأولى ١٩٩٨م.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية. محمد الصالح عثيمين. ص ٢٧٩.المجلد الثاني. ط دار ابن الجوزي. السعودية..ط السادسة ١٤٢١هـ. بتصرف.

(٣) صحيح البخاري. كتاب التوحيد. باب ذكر النبى وروايته عن ربه.(١٥٧/٩). المحقق: محمد زهير بن ناصر.الناشر: دار طوق النجاة .ط الأولى، ١٤٢٢هـ.الأجزاء: ٩.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين.(١٨٤/١).

بلا كيف يلزم منها التجسيم، والتشبيه؛ وذلك لأن إثبات هذه الصفات لله– تعالى– على حقائقها يناقض مقولة "بدون كيف"، فهذا المذهب في البداية قد حدَّد معاني هذه الألفاظ بما يعهده عامة الناس، وبما يتبادر إلى الذهن منها عند إطلاقها، ثم نسب هذه المعاني البشرية لله –تعالى–، ثم يقول بعد ذلك: "بدون تكييف"، وهذه المقولة بعد إثبات الصفات على هذا النحو لا فائدة منها ، ولا يحسِّن هذا القيد في مذهبه شيئًا، ولا يخلع عليه إلا التناقض أولاً، والبعد كل البعد عن مذهب السلف الصالح ثانياً ؛ "وذلك لأن السلف الصالح كانوا يعرفون ما لهذه المتشابهات من معان يستطيع البشر فهمها، سواء بمعرفة اللغة، أو بمعرفة العقل، ثم هم يعرفون أن لهذه المتشابهات معان أخرى وراء مدارك البشر قد استأثر الله– تعالى– بعلمها ، ثم هم يقطعون في الوقت نفسه بعجز البشر عن إدراك هذه المعاني المكنونة بعقولهم أصلاً، ومن ثَمَّ فلا يجهدون أنفسهم في تفسيرها، أو اكتناهها أصلاً، وابتداءً، بل أضافوا تلك المعاني الحقيقية المكنونة إليه– تعالى– إدراكًا، كما أضافوها إليه– تعالى– اتصافًا، وهكذا يكون التنزيه في عين الإثبات، أي أن السلف قد أثبتوا ونزهوا في آن واحد، **أما أهل الإثبات** فقد أعملوا اللغة في فهم هذه الظواهر، وأضافوا تلك الأفهام البشرية إليه–تعالى– اتصافًا، ثم نزهوه– تعالى– بعدئذٍ عن الكيف والمماثلة ، وهكذا كان الإثبات لديهم يمثل خطوة تعقبها خطوة أخرى هي التنزيه، فهم إذن قد أثبتوا أولاً، ثم نزهوا بعدئذٍ"[1] وعليه فإنه يتضح لنا من خلال هذا النص توقف سلفنا الصالح عن البحث في كنه هذه الصفات؛ لعلمهم بخطورة ذلك وصعوبته، ولإيقانهم بعدم أهليَّة العقل البشرى عن الإحاطة بطبيعة

(١)موقف السلف من المتشابهات بين المثبتين والمؤولين. أ د.القوصي.ص١٧ ،١٨.ط. دار القدس العربي. ط ٣.بتصرف يسير.

الذات الإلهية، ومن ثمّ اختاروا طريق الإيمان المطلق والتسليم الكامل لظاهر النصّ مع اعتقاد التنزيه التام لله عن مشابهة خلقه.

رأى العز في المسألة: يقول العز بن عبد السلام:"ثم اعلم وفقك الله أن الله- تعالى- لا يوصف بشيء مما أشرنا إليه في الأحاديث، ولا في غيرها، بحلول، ولا نزول، ولا اتصال، ولا انفصال، ولا ملامسة، ولا مجانسة، فاحذر أن يختلج في فهمك، أو وهمك شيء من ذلك فتهوى في المهالك، فكل ما قدَّرته في بالك فالله تعالى بخلاف ذلك، وأين الحادث الفاني من القديم الباقي؟!، وأين العبد الذليل من المولى الجليل؟!، فإن فهمت من قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1] ومن قوله- صلى الله عليه وسلم-: " من تقرَّب منى شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب منى ذراعًا تقربت منه باعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "[2] ، فهذا وأشباهه إن خطر ببالك، أو تصوَّر في خيالك إن ذلك قرب مسافة، ومشى جارحة، ونزول، وانتقال، فأنت لا شك هالك، والله بخلاف ذلك، منزَّه عن السلوك، وقربك منه في المسالك، وإنما معنى قربه منك وقربك منه أنه يتقرب إليك بالرحمة، وأنت تتقرب إليه بالسجود، وهو يتقرب بالجود، وأنت تتقرب بالطاعة، وهو يتقرب بتوفيق الاستطاعة، قال- صلى الله عليه وسلم- مخبرًا عن ربه: " وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشيء أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ"[3] ، فأخبر سبحانه عباده أن تقربهم إليه بالعبادة، ثم قربه منك في اليوم ما خصَّك به من معرفته، ومحبته، وطاعته، وقربه منك في غدٍ بما يحصل من مشاهدته، ومخاطبته شفاهًا،

(١) سورة البقرة: جزء الآية ١٨٦.

(٢) صحيح البخاري. كتاب التوحيد. باب ذكر النبى وروايته عن ربه.(١٥٧/٩).

(٣) صحيح البخاري. كتاب التوحيد. باب التواضع.(١٠٥/٨).

وكفاحًا، ثم هو في الحقيقة أقرب إلى كل شيء من كل شيء، ليس شيء أقرب إليه من شيء، وهو أبعد عن كل شيء من كل شيء، ليس شيء أبعد عنه من شيء فهو في قربة بعيد، وفي بعده قريب، وقربه من خلقه على ثلاثة أقسام:-

الأول: قرب عام: وهو قرب العلم، والقدرة، والإرادة وهو قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]

والثاني: قرب الخاصة من المؤمنين: هو قرب الرحمة، والبر، واللطف في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2]

والثالث: قرب خاصة الخاصة من المقربين: وهو قرب الحفظ، والكلاءة ،والنصر، والإجابة، وذلك للأنبياء، والمرسلين، قال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[3] فالعبد له في قربه ثلاث مراتب:- **الأول: قرب الأبدان:** وهو بالعمل بالأركان، **الثاني: قرب القلب:** وهو التصديق، والإيمان، **الثالث: قرب الروح:** بالتحقيق، والإحسان، ثم الحق سبحانه أقرب إلى عين الإنسان من الإنسان، موجود في كل مكان، ما خلا منه مكان، منزه من المكان، والزمان،

(١) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٢) سورة الحديد: عجز الآية ٤.

(٣) سورة ق: عجز الآية ١٦.

مقدس عن التمكين في مكان"[١] ويقترب من هذه المعاني التأويلية السابق ذكرها لسلطان العلماء العز بن عبد السلام في مسألة القرب الإلهي ما ذكره "ابن قتيبة الدينوري"[٢] في التعقيب على حديث من تقرب إليّ شبرًا قائلًا: "إن هذا تمثيل، وتشبيه، وإنما المراد من أتاني مسرعًا بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه، فكنى عن ذلك بالمشيِّ، وبالهرولة، وكذلك قوله- تعالى-﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[٣]، والسعي :الإسراع في المشي، وليس يراد أنهم مشوا دائمًا، وإنما أراد أنهم أسرعوا بنياتهم، وأعمالهم، والله أعلم"[٤] وأقول إن الإمام العز قد تأوَّل معنى القرب، والهرولة الواردين في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بقرب المنزلة، والرحمة، والنصر، والرعاية ، فليس المراد بالقرب هنا دنوّ الذات، أو قربها في المسافة، وإتيانها، وإنما المراد بذلك: قرب المنزلة، والمكانة، وليس المكان، وكذلك لفظ الهرولة، فالمراد به إسراع الثواب، ومضاعفته، والزيادة فيه، وهو رأى كل عاقل، صحيح الفكر، سليم القلب، وهو ما ندين لله تعالى به.

(١) زيد خلاصة التصوف(حل الرموز ومفاتيح الكنوز). العز بن عبد السلام.ص ١١٧وما بعدها

(٢) ابن قتيبة (٢١٣ – ٢٧٦ هـ = ٨٢٨ – ٨٨٩ م)

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد ببغداد، وسكن الكوفة، ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها، وتوفي ببغداد، من كتبه: " تأويل مختلف الحديث- ط " ، و"عيون الأخبار- ط" " و" مشكل القرآن- ط " و" المشتبه من الحديث والقرآن- خ و" تفسير غريب القرآن- ط "/ سير أعلام النبلاء. الذهبي.(١٣/ ٢٩٦).الأعلام. للزركلي (٤/ ١٣٧)

(٣) سورة الحج . الآية ٥١.

(٤) تأويل مختلف الحديث. بن قتيبة.(٢٢٤/١). تحقيق : محمد زهري النجار.الناشر : دار الجيل- بيروت ، ١٩٧٢م.

ونستخلص من كلام الإمام العز هنا:

– ذمُّه لمذهب الحشوية، وطريقتهم في إلباسهم على الخلق أمور دينهم، فهو القائل عنهم" ولم تزل هذه الطائفة المبتدعة ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[1]ولا تلوح لهم فرصة إلا طاروا إليها ، ولا فتنة إلا أكبُّوا عليها ، وأحمد بن حنبل، وفضلاء أصحابه، وسائر علماء السلف براء إلى الله مما نسبوه إليهم ، واختلفوا عليهم"[2]

– موافقته لأئمة المذهب الأشعري في مسألة الاستواء على العرش، ونفيه الاستواء بمعناه الحسي الذي تقول به الحشوية .

– تأويله للقرب المنسوب لله في الآيات، والأحاديث بقرب المكانة، لا المكان، قرب العلم، والحفظ، والرعاية، وليس كما يدعيه المثبتة من القرب الحقيقي، أو المشي الحقيقي، أو الهرولة الحقيقية التي لا يجوز نسبتها للباري تعالى، متمشيًا بذلك مع أئمة المذهب الوسطي من الأشاعرة والماتريدية.

(١) سورة المائدة: عجز الآية ٦٤.

(٢)المِلحَة في اعتقاد أهل الحق ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام ص١٦:١٩ وما بعدها. بتصرف.

المبحث الثالث

صفات المعاني ، وصفات الفعل عند

سلطان العلماء العز بن عبد السلام

المطلب الأول:

تعريف صفات المعاني، والفعل ، ورأى "العز بن عبد السلام" فيهما.

صفات المعاني: عرَّف أهل السنَّة والجماعة صفات المعاني بقولهم:" كل صفة، قائمة بموصوف، زائدة على الذات، موجبة له حكمًا، وهي سبع صفات: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وإنما سُميت بذلك؛ لأن كل صفة منها تدل على معنى زائد على ذاته– تعالى–، وهي ما يسمونها أيضًا بالصفات الوجودية"[1] أو صفات الكمال، وعندما أراد الإمام العز أن يتحدث عن صفات المعاني سماها صفات الذات، وعدَّها أيضًا سبع صفات، هي القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، فقال:"**الفرع الثاني: معرفة صفات الذات،** وشعبها سبعة: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتثمر معرفة كل شعبة من هذه الشعب ما يناسبها من الأحوال، وما

(١) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد. أحمد بن محمد المالكي الصاوي. ص ١٦٨.تحقيق د/ عبد الفتاح البزم. دار ابن كثير. دمشق. بيروت. ط الثانية. ١٩٩٩م.

يلائمها من الأقوال، والأعمال"[١] ويتحدث في موضع آخر عن صفات المعاني قائلًا: "حيّ ، مريد، سميع ، بصير، عليم، قدير، متكلِّم بكلام قديم، أزليٍّ، ليس بحرف، ولا صوت، ولا يتصور في كلامه أن ينقلب مدادًا في الألواح، والأوراق شكلًا ترمقه العيون، والأحداق ، كما زعم أهل الحشوِّ، والنفاق"[٢]

تعلقات الصفات التعلّق في اصطلاح المتكلمين: هو اقتضاء الصفة أمرًا زائدًا على قيامها بالذات"[٣]

أعقب الإمام العز حديثه عن صفات المعاني بحديثه عن تعلقات هذه الصفات، فقال :" **فالعلم، والكلام متعلقان:** بكل واجب، وممكن، ومستحيل على سبيل التعظيم، والتفضيل، **والقدرة، والإرادة متعلقان:** بكل منحصر في حيِّز الإمكان، **والسمع متعلق:** بكل مسموع خفيّ، وجليّ، **والبصر متعلق:** بكل الموجودات من قديم، وحادث من ذوات أوصاف جليّات، أو خفيات، **ولا تعلق للحياة بحال،** وأما صفات التعلق: فتعلُّق الإرادة بالتخصيص، وتعلُّق القدرة بالإيجاد، وتعلق الكلام بالطلب، والإخبار، وتعلق العلم، والسمع، والبصر بالكشف، والإحاطة، والإدراك، فهذه أنواع من التوحد، والتفرد"[٤] يشير الإمام العز هنا إلى ما تتعلق به صفات المعاني السبع، ويؤكد أشعريته ببيان أن صفتى العلم، والكلام تتعلقان بكل واجب، وجائز، ومستحيل، فالعلم صفة انكشاف، والكلام إفهام، فدلَّ كلامه– تعالى– على الأقسام الثلاثة في آن واحد،

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٢١.

(٢)المِلحَة في اعتقاد أهل الحق ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام .ص١٢، وما بعدها. تحقيق. إياد خالد الطباع . بتصرف

(٣)حاشية الشيخ محمد السباعي على شرح الشيخ الدرديري علي خريدته في التوحيد. ص١٠٥. الناشر : المطبعة العامرة المليجية. ط. الأولى . ١٣٣١هـ .

(٤) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٢٤.

وأما صفتا القدرة ، والإرادة فلا تتعلقان إلا بالممكن، ولا تتعلقان بالواجب، أو بالمستحيل؛ وذلك لأنهما من صفات التأثير، ومن لازم الأثر الوجود بعد العدم، والعكس؛ فما لا يقبل إلا الوجود وهو الواجب –مثلًا– لا يكون أثرًا لهما، وما لا يقبل إلا العدم وهو المستحيل فكذلك لا تتعلقان به، فلو تعلقتا بالواجب فإما أن يكون لوجوده فيلزم تحصيل الحاصل وهو محال، أو لعدمه فيلزم قلب الحقائق، ولو تعلقتا بالمستحيل؛ فإما أن يتعلقا بإيجاده؛ فيلزم قلب الحقيقة؛ إذ هو لا يقبل الإيجاد أصلًا؛ لأنه إنما يقبله من يتصف بالعدم والوجود، وأما السمع والبصر فيتعلقان بجميع الموجودات، وما لا يتعلق بشيء وهو الحياة[١]

يقول الإمام العز وهو يتحدث عن قيام صفات المعاني بذاته تعالى، وبيان تعلقها بقوله:"فهذه الصفاتُ كُلُّها قائمة بذاتِ الله– تعالى– وهى منقسمة إلى:– **ما يتعلَّق بغيره كشفاً** ، كالعلم، والسمع، والبصر، **وإلى ما يتعلق بغيره تأثيرًا** كالقدرة ، **وإلى ما يتعلَّق بغيره من غير كشف، ولا تأثير** كالكلام ؛ وأعَمُها تعلقًا العلم، والكلام ، وأَخصُّها السَّمْعُ ، ومُتوسطها البصر"[٢]

صفات الفعل عند الإمام العز:

لما كانت صفات الأفعال ترجع في مجملها إلى صفة القدرة، وهى من صفات المعاني تحدث الإمام العز بعد ذلك – وإن كان حديثًا مختصرًا جدًا–عن صفات الله الفعلية من الإحياء، والإماتة، والرزق، وغيرها من الصفات، فقال:

(١) راجع في الصفات وتعلقاتها/ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. الأشعري. ص ١٧، ٤٩، ٩٧صححه،وقدم له، وعلق عليه. د حمودة غرابة، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط الأولى ١٤٣١هـ، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. الباقلاني. ص ٢٣:٣٦، التعليقات الميسرة على شرح الجوهرة. د.حسن محرم الحويني. ص١٤٣.

(٢)رسالة الأنواع في علم التوحيد ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام .ص٣٢.. بتصرف.

"**الفرع الثالث: معرفة الصفات الفعلية، وشعبها باعتبار أنواع الأفعال كثيرة،** كالضر والنفع، والغفر، والستر، والإنعام، والإفضال، والإعزاز، والإذلال، وتثمر معرفة كل شعبة من هذه الشعب لما يناسبها من الأحوال، ولما يلائمها من الأقوال والأعمال"[١]

ويؤكد الإمام العز حديثه عن صفات الفعل: " **النوع الحادي عشر:** معرفة صفاته الفعلية الصادرة عن قدرته كالخفض، والرفع، والعَطاءِ، والمنع، والإعزاز، والإذلال، والإغناء، والافتقار، والإماتة، والإحياء، والإعادة، والإفناء) [٢] وكلام الإمام العز عن صفات الفعل مختصر جدًا لا يخرج في مجمله عما ذُكر

<u>وإتمامًا للفائدة أقول</u>: قد دار الخلاف بين العلماء حول صفات الفعل، وصفات الذات، فذهب الباقلاني إلى التفرقة بين صفات الذات، وصفات الفعل بقوله: "صفات الذات: هي التي لم تزل، ولايزال الله موصوفًا بها، أما صفات الفعل: فهي التي سبقها، وكان –تعالى– موجودًا في الأزل قبلها، ووافقه في ذلك البيهقي[٣]؛ حيث صرَّح بأن صفات الفعل: هي تسميات له– تعالى–

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. ص٢١.

(٢)رسالة الأنواع في علم التوحيد. العز بن عبد السلام .ص٣٢ .بتصرف

(٣)البيهقي(٣٨٤ – ٤٥٨ هـ= ٩٩٤– ١٠٦٦ م) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، من أئمة الحديث، ولد بنيسابور، ورحل إلى بغداد، ومكة، وغيرهما، ثم رجع إلى نيسابور، وظل بها إلى أن مات، قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فان له الفضل على الشافعي؛ لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه، وبسط موجزه تآليفه كثيرة منها: (السنن الكبرى)، (السنن الصغرى) (الأسماء والصفات) و(ودلائل النبوة)/ الأعلام. للزركلي (١/ ١١٦).

مشتقة من أفعاله، وقال الجرجاني[١]: "الصفات الذاتية: هي ما يوصف الله بها، ولا يوصف بضدها، نحو: القدرة، والعزة، والعظمة، وغيرها، والصفات الفعلية: هي ما يجوز أن يوصف الله بضده، كالرضا، والرحمة، والسخط، والغضب، وغيرها"[٢] وبناء على ما سبق تكون صفات الفعل هي: آثار القدرة، كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك؛ وهى حادثة عند الأشاعرة؛ لكونها عبارة عن تعلُّق القدرة التنجيزي، "وأما الماتريدية فصفات الفعل عندهم قديمة؛ فلا فرق بينها وبين صفات الذات في استحقاق الباري –تعالى– لها أزلاً؛ فهم يقولون: "ونحن نقول: خالق لم يزل خالقًا، رازق لم يزل رازقًا، مريد لم يزل مريدًا، كما نقول: عالم لم يزل عالمًا، وقادر لم يزل قادرًا....، ثم المذهب الصحيح: أن الله –تعالى– موصوف بجميع صفاته في الأزل ذاتية، أو فعلية"[٣]

(١)الجرجاني(٧٤٠ – ٨١٦ هـ = ١٣٤٠ – ١٤١٣ م)
علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف، من كبار العلماء، ودرس في شيراز، له نحو خمسين مصنفًا، منها: " التعريفات– ط " و " شرح مواقف الإيجي–ط" ،"الكبرى والصغرى في المنطق–ط ، الحواشي على المطول للتفتازاني– ط " / الأعلام للزركلي (٥/ ٧).

(٢)الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به الباقلاني. (ص٢٥)، الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبي بكر البيهقي (ص٢١،٢٢)، تحقيق: عبد الله بن محمد الصديق الغماري، ط. دار العهد الجديد، ١٣٧٩هـ، التعريفات للجرجاني.ص١٧٥، شرح المقدمات للسنوسي.ص١٣٩. تحقيق: نزار حمادي، ط الأولى.مكتبة المعارف، بيروت لبنان، ١٤٣٠هـ. هوامش على الاقتصاد في الاعتقاد .د. محمد عبد الفضيل القوصي(ص١١: ١٩)، ط٢.مكتبة الإيمان، ١٤٢٦هـ.

(٣) بيان عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالعقيدة الطحاوية لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ص١٠، ط. الأولى.دار ابن حزم ، بيروت لبنان، ١٤١٦هـ،شرح الفقه

المطلب الثاني:

صفة الكلام عند الإمام العز بن عبد السلام.

صفة الكلام ، وسبب التأليف فيها:

يقول ابن العز بن عبد السلام عن سبب تأليف والده لرسالة في صفة الكلام: "الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله، وصحبه أجمعين، وبعد، فإنه لما ندبني من تجب إجابته، وتتحتم طاعته إلى أن أذكر له ما جرى لوالدي– رحمه الله تعالى– مع السلطان الملك الأشرف "موسى" بن الملك العادل تغمَّده الله برحمته – في مسألة الكلام، بادرت مجيبًا بما أعلمه في الواقعة، بالخبرة الباطنة، والمباشرة، وذلك أنه لما ملك الملك الأشرف– رحمه الله– دمشق، واتصل به ما عليه والدي أحبَّه ، وصار يلهج بذكره، ويتعرض إلى الاجتماع به، وهو يعرض عن ذلك، ويؤثر الانقطاع إلى ملك الملوك، والوقوف ببابه، والعكوف على جنابه، وكان للشيخ أعداء في الدين من "حشوية" الحنابلة المبتدعين، وكانوا في تلك الدولة متقدمين، وكان الملك الأشرف– رحمه الله– قد صحب جماعة منهم في صغره ممن يقول: بالحرف، والصوت، كانوا يقولون له: هذا اعتقاد السلف، واعتقاد الإمام أحمد بن حنبل، وفضلاء أصحابه– وحاشاهم عن ذلك– وقرروا ذلك عند السلطان، حتى اختلط اعتقاده لذلك بلحمه، ودمه، وصار يعتقد فيمن خالف ذلك أنه كافر، مباح الدم، فقالت له طائفة منهم: ابن عبد السلام أشعري المذهب، غير معتقد للحرف، والصوت، بل يخطئ من يعتقد الحرف، والصوت، ويسبّه، ويذمّه ، ويقدح في دينه أتمّ القدح، فاستهول ذلك السلطان، واستعظمه، واتَّهمهم، ولم يصدقهم،

الأكبر للماتريدي.ص٣٢ ،٣٣، .مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الهند، (١٣٢١)هـ.

ونسبهم إلى التعصُّب عليه، فكتبوا فتوى في مسألة الكلام، وأحضروها إليه، وكان قد اتصل به ما ألقوه إلى السلطان في ذلك"[١] فيتبين لنا من خلال هذا النصِّ أن الحشوية في عصر الإمام العز ألَّبوا عليه السلطان، واتهموه بأنه على المذهب الأشعري في عدم اعتقاد الحرف، والصوت في كلام الباري تعالى، وأن هذا قدح في الدين ، ومخالف لمذهب السلف الصالح من الصحابةو والتابعين، وقام الحشوية بإرسال فتوى للإمام العز يستبطنون بها رأيه في مسألة كلام الباري تعالى، وقام العز بدوره كعالم من علماء الأشعرية في عصره بالرد عليهم، وتوضيح رأيه في كلام الباري تعالى في رسالته "إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام"

تحليل كلام العز لصفة الكلام:

يقول الإمام العز عن إثبات صفة الكلام لله تعالى: "متكلِّم بكلام قديم، أزليّ، ليس بحرف، ولا صوت، ولا يتصور في كلامه أن ينقلب مدادًا في الألواح، والأوراق شكلًا ترمقه العيون، والأحداق كما زعم أهل الحشو، والنفاق، بل الكتابة من أفعال العباد، ولا يتصور في أفعالهم أن تكون قديمة، فويل لمن زعم أن كلام الله القديم شيء من ألفاظ العباد، أو رسم من أشكال المداد، فهذا إجمال من اعتقاد الأشعري– رحمه الله تعالى–، واعتقاد السلف، وأهل الطريقة، والحقيقة نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح"[٢] فالإمام العز يؤكد ما أكد عليه أعلام المذهب الأشعري من أن كلام الباري ليس

(١) إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام.ص٣.بقلم محمد بن عبد العزيز حكاية عن أبيه. ط المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة.٢٠٠٦م.

(٢)المِلحَة في اعتقاد أهل الحق ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام .ص١٢، وما بعدها. بتصرف.

بحرف، ولا صوت، وأن الكلام النفسي القديم ليس هو المداد المكتوب في الألواح؛ لأن الكتابة حادثة، وكلام الله قديم، وهذا ما سبق إليه الإمام الغزالي– رحمه الله– عندما قال:" فإنا معترفون باستحالة قيام الأصوات بذاته، وباستحالة كونه متكلمًا بهذا الاعتبار، ولكنا نقول الإنسان يسمى متكلمًا باعتبارين:– أحدهما بالصوت، والحرف، والآخر بكلام النفس الذي ليس بصوت، وحرف، وذلك كمال وهو في حق الله تعالى غير محال، ولا هو دال على الحدوث، ونحن لا نثبت في حق الله تعالى إلا كلام النفس"[1] وعلى ذلك "فصفة الكلام بالنسبة لله هى عبارة عن: أمر وجودي قائم بذاته– تعالى– ليست بحرف، ولا صوت، ولا تتطلب أداة من نحو لسان، أو فم، أو شفتين،أو حنجرة،..، على أن وظيفة هذه الصفة هى إخبارنا عن طريق الوحى بما يريد الله أن يخبرنا به من قصص الماضين، والغابرين، أو بما يريد أن يطلعنا عليه من حوادث في المستقبل، أو بما يريد أن ينبئنا به من أمور العقائد، وهذه الصفة التي تلك حالها هي صفة نفسية بمعنى أنها ليست في محل النطق على نحو ما نعرفه من صفات الحادثات"[2] "ولكى يتبين هذا الأمر لابد أن نعلم أن صفة الكلام باعتبارها لفظًا لغويًا تطلق بالاشتراك على أمرين:–**أحدهما:** ما يقع في محل النطق، ويكون بحرف، وصوت، ويتطلب أدوات الكلام من نحو الشفتين، واللحيين، واللسان، وهذا المعنى لا يتحقق إلا للحادثات، ويكون كمالًا لها

وثانيهما: المعنى الذى يقوم بالنفس، وهذا المعنى يعرفه العامي قبل المتخصص، فقد ينظر الجالس إلى جليسه فيدرك أنه يريد أن يقول شيئًا ،

(1)الاقتصاد في الاعتقاد. الغزالي. ص ١٠٥.تحقيق وتعليق أ.د سامي عفيفي حجازي. ط الأولى١٤١٦هـ.دار الطباعة المحمدية.

(2)الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي عرض وتحليل. أ.د طه الدسوقي حبيشي.ص ٢٣٩. مطبعة الرشوان.١٩٨٨م.

فيبدأه بالكلام قائلاً له : إني أرى فى نفسك كلامًا، وأريدك أن تعبِّر عنه، ومن العجب العجيب أن هذا الدرب من الكلام يعرفه الشعراء، والعامة، ويذهل عنه بعض المتخصصين، فالشاعر يقول:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما.....جعل اللسان على الفؤاد دليلًا.

تلك هي حقيقة صفة الكلام، ومعناها ، وهذان هما المعنيان اللذان يدل عليهما اللفظ اللغوي، واللائق بالله– عز وجل– أن نحمل صفة الكلام الواجب إثباتها له على هذا المعنى الثاني، الذى هو الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالى"[١]

ثم يقول الإمام العز:" والعجب ممن يقول: القرآن مركب من حرف، وصوت، ثم يزعم أنه في المصحف، وليس في المصحف إلا حرف مجرَّد، لا صوت معه ؛ إذ ليس فيه حرف متكوّن من صوت، فإن الحرف اللفظي ليس هو الشكل الكتابي؛ ولذلك يدرك الحرف اللفظي بالآذان، ولا يشاهد بالعيان، ويشاهد الشكل الكتابي بالعيان، ولا يسمع بالآذان، ومن توقف في ذلك فلا يعد من العقلاء فضلًا عن العلماء ، فلا أكثر الله في المسلمين من أهل البدع، والأهواء ، والإضلال، والإغواء، ومن قال بأن الوصف القديم حال في المصحف لزمه إذا احترق المصحف أن يقول : إن وصف الله القديم احترق– تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا – ومن شأن القديم أن لا يلحقه تغيُّر، ولا عدم، فإن ذلك مناف للقدم"[٢] فاعتقاد العز بأن اللفظ المرسوم في المصحف ليس كلام الله القديم، وإنما هو اللفظ المعبَّر به عن الكلام القديم ليس اعتقاده وحده، وإنما هو اعتقاد أئمة المذهب الأشعري على اختلاف أزمانهم، يقول الإمام الغزالي:" كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، مقروء بالألسنة، وأما

(١)المرجع السابق نفسه.

(٢)المِلحَة في اعتقاد أهل الحق. العز بن عبد السلام..ص٢٠ وما بعدها. بتصرف

الكاغد، والحبر، والكتابة، والحروف ، والأصوات كلها حادثة؛ لأنها أجسام، وأعراض في أجسام فكل ذلك حادث، وإن قلنا: إنه مكتوب في المصحف، أعني صفة تعالى القديم، لم يلزم أن تكون ذات القديم في المصحف، كما أنا إذا قلنا النار مكتوبة في الكتاب لم يلزم منه أن تكون ذات النار حالة فيه؛ إذ لو حلت فيه لاحترق المصحف، ومن تكلم بالنار فلو كانت ذات النار بلسانه لاحترق لسانه، فالنار جسم حار، وعليه دلالة هي الأصوات المقطعة تقطيعًا يحصل منه النون، والألف، والراء، فالحار المحرق ذات المدلول عليه، لا نفس الدلالة، فكذلك الكلام القديم القائم بذات الله تعالى هو المدلول، لا ذات الدليل، والحروف أدلة، وللأدلة حرمة إذ جعل الشرع لها حرمة، فلذلك وجب احترام المصحف؛ لأن فيه دلالة على صفة الله تعالى"[1] " والنتيجة من هذا كله أن ما هو مكتوب في المصاحف حروف بالأحبار على الورق، إنما هو دال على كلام الله القديم، والدليل غير المدلول، وقد أجمع العلماء على احترام المصحف؛ لا لأنه يحتوى على كلام الله القديم ، ولكنهم أجمعوا على احترامه، ووجوب ذلك الاحترام لاحتواء المصحف على الدليل الذي يدل على كلام الله القديم، والدليل يأخذ اعتباره واحترامه من المدلول الذى يدل عليه"[2]

يقول العز: "وكيف يظن بأحمد بن حنبل، وغيره من العلماء أن يعتقدوا أن وصف الله القديم بذاته هو عين لفظ اللافظين ، ومداد الكاتبين ، مع أن وصف الله قديم، وهذه الألفاظ، والأشكال حادثة بضرورة العقل، والنقل، وقد أخبر الله– تعالى– عن حدوثها في ثلاثة مواضع من كتابه:

(1) الاقتصاد في الاعتقاد. الغزالي. ص ١١٢. تحقيق وتعليق أ.د سامي عفيفي حجازي.
(2)الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي عرض وتحليل. أ.د طه الدسوقي حبيشي.ص ٢٤٩.

الموضع الأول: قوله تعالى:﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[1]جعل الآتي محدثاً، فمن زعم أنه قديم فقد ردَّ على الله– سبحانه وتعالى– ، وإنما هذا المحدَث دليل على القديم ، كما أنا إذا كتبنا اسم الله– عز وجل– في ورقة لم يكن الرب القديم حالًا في تلك الورقة، فكذلك الوصف القديم إذا كتب في شيء لم يحل الوصف المكتوب حيث حلت الكتابة

الموضع الثاني : قوله تعالى ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[2]، وقول الرسول صفة للرسول، ووصف الحادث حادث يدل على الكلام القديم، فمن زعم أن قول الرسول قديم فقد ردَّ على رب العالمين ، ولم يقتصر– سبحانه وتعالى– على الإخبار بذلك حتى أقسم على ذلك بأتم الأقسام، فقال تعالى:﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾: أي تشاهدون ﴿ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾أي ما لا ترونه ، فاندرج في هذا القسم ذاته وصفاته، وغير ذلك من مخلوقاته.

الموضع الثالث : قوله تعالى ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ﴾[3]

وعلى ذلك فيجب تنزيه كلام الباري– تعالى– القديم عن أي معنى للحدوث، وما ورد من ظاهر القرآن يوهم ذلك كمثل الآيات السابقة، وغيرها فيجب تأويلها على ظاهر اللفظ المنزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه.

(1) سورة الأنبياء. الآية ٢.

(2) سورة الحاقة من الآية ٣٨ : ٤٠.

(3)المِلحَة في اعتقاد أهل الحق ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام. بتصرف، والآية من سورة التكوير من الآية ١٥ : ١٩.

"كل نص للحدوث دلًّا.....إحمل على اللفظ الذي قد دلًا والمراد من (النصِّ): الظاهر من الكتاب، أوالسنّة، وقوله (للحدوث دلًا) أي الظاهر الذي دلَّ على حدوث القرآن، وقول المصنف (أحمله على اللفظ) أي أوِّله بحمله على اللفظ الذي قد دل على الصفة القديمة بطريق دلالة الالتزام[1]، والمقصود به القرآن بمعنى اللفظ المنزل على نبينا، المتعبد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه، وكلام الله تعالى بهذا المعنى هو ذكر، ومحدث، وعربي، ومنزل على النبي ﷺ ومتلو، ومرتَّب، وفصيح، وبليغ، ومعجز، ومشتمل على مقاطع، ومبادئ، وأجزاء، وغير ذلك"[2]

"ونزِّه القران أى كلامه.....عن الحدوث، واحذر انتقامه

(1)الدلالة لغة : الهداية ، وفي اصطلاح المناطقة : هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، الشيء الأول: هو الدّال ، والثاني: هو المدلول ، فإن كان الدّال لفظًا؛ فالدلالة لفظية : وهي إما وضعية ، أو طبيعة ، أو عقلية، وتنقسم الدلالة الوضعية إلى :

١- دلالة مطابقية : وهي دلالة اللفظ على معناه بواسطة أنّ اللفظ موضوع لذلك المعنى ، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق

٢- دلالة تضمنية : وهي دلالة اللفظ على معناه بواسطة أنّ اللفظ موضوع لمعنى داخل فيه ذلك المعنى ، كدلالة الإنسان على الناطق .

٣- دلالة التزامية : وهى دلالة اللفظ على معناه بواسطة أنّ اللفظ موضوع لمعنى خارج عنه ذلك المعنى ، كدلالة الإنسان على المتعجب / راجع الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد ، لجمال الدين الحسن بن يوسف بن علي الحلي. ص: ٣٣ . تحقيق : محسن بيدارفر. الناشر : مطبعة الإمام أمير المؤمنين . طبعة سنة : ١٣٦٣هـ ، وضوابط الفكر ، للأستاذ الدكتور / محمد ربيع الجوهري ص: ٤٠ . الناشر : مكتبة الإيمان . طبعة سنة : (٢٠٠٩م) .

(2)التعليقات الميسرة على شرح الجوهرة.أ.د حسن محرم الحويني. ص ١٩٢.بتصرف يسير.

إشارة إلى أنه يجب علينا تنزيه الكلام النفسي عن الحدوث، أما القرآن بمعنى اللفظ المنزَّل على النبيِّ المؤلف من الحروف، والأصوات فلا مانع من القول بحدوثه، وإن كان يمتنع القول بأن القرآن مخلوق بإطلاق العبارة، ولو بقصد اللفظ، اللهم إلا في مقام التعليم، ويلاحظ أن كلًا من النوعين النفسي، واللفظي يطلق عليهما الوصف بكلام الله، والقرآن معًا، على سبيل الاشتراك اللفظي، وإطلاق اللفظ المشترك على كل معنى من معانيه إنما هو من باب الحقيقة، فكان تفسير القرآن بالكلام النفسي احترازًا من إرادة الكلام اللفظي، والقول بالاشتراك في هذا الإطلاق هو الراجح ، والأكثر إطلاق القرآن على الكلام اللفظي، وإطلاق كلام الله على الكلام النفسي، وقيل: إن هذا الإطلاق من باب الحقيقة، والمجاز، بمعنى أن إطلاق كلام الله على الكلام النفسي إطلاق حقيقي، وإطلاقه على الكلام اللفظي المؤلف إطلاق مجازي، والأمر بالعكس في لفظ القرآن، فإطلاقه على الكلام اللفظي حقيقة، وإطلاقه على الكلام النفسي مجازًا"[1]

إطلاقات لفظ القرآن الكريم: يقول الإمام العز: "فإن لفظ القرآن يطلق في الشرع واللسان على الوصف القديم ، ويطلق على القراءة الحادثة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[2] أراد بقرآنه : قراءته ، إذ ليس للقرآن قرآن آخر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[3]أي قراءته ، فالقراءة غير المقروء، والقراءة حادثة، والمقروء قديم ، كما أنا إذا ذكرنا الله- عز وجل- كان الذكر حادثًا، والمذكور قديمًا ؛ فهذه نبذة من مذهب الأشعري- رحمه الله- والكلام في مثل

(1)المرجع السابق. ص ١٩١.بتصرف يسير.

(2) سورة القيامة: ١٧

(3) سورة القيامة: ١٨

هذا يطول، ولولا ما وجب على العلماء من إعزاز الدين، وإخماد المبتدعين، وما طولت به الحشوية ألسنتهم في هذا الزمان من الطعن في أعراض الموحدين، والإزدراء على كلام المنزهين لما أطلت النفس في مثل هذا مع اتضاحه؛ ولكن قد أمرنا الله بالجهاد في نصرة دينه، وما زال المنزهون، والموحدون يفتون بذلك على رؤوس الأشهاد في المحافل، والمشاهد، ويجهرون بها في المدارس، والمساجد، وبدعة الحشوية كامنة، خفية لا يتمكنون من المجاهرة بها، بل يدسونها إلى جهلة العوام، وقد جهروا بها في هذا الأوان، فنسأل الله أن يعجِّل بإخمادها كعادته، ويقضي بإذلالها على ما سبق من سنته، وعلى طريق المنزهين والموحدين درج السلف والخلف رضى الله عنهم أجمعين [١]

وقد بيَّن الإمام الغزالي– رحمه الله– سلفًا هذه الإطلاقات للقرآن حين قال: ها هنا ثلاثة ألفاظ:– قراءة، ومقروء، وقرآن، أما المقروء: فهو كلام الله تعالى، أعني صفته القديمة القائمة بذاته، وأما القراءة: فهي في اللسان عبارة عن فعل القارئ الذي كان ابتدأه بعد أن كان تاركًا له، ولا معنى للحادث إلا أنه ابتدأ بعد أن لم يكن، فالقراءة فعل ابتدأه القارئ بعد أن لم يكن يفعله، وهو محسوس، وأما القرآن: فقد يطلق ويراد به المقروء، فإن أريد به ذلك فهو قديم غير مخلوق، وهو الذي أراده السلف– رضوان الله عليهم– بقولهم القرآن كلام الله –تعالى– غير مخلوق، أي المقروء بالألسنة، وإن أريد به القراءة التي هي فعل القارئ ففعل القارئ لا يسبق وجود القارئ، وما لا يسبق وجود الحادث فهو حادث"[٢] وعلى ذلك ": فإن ما يقع منا فى محل النطق من هواء يندفع من الصدر، مارًا

(١)المِلحَة في اعتقاد أهل الحق . العز بن عبد السلام.ص٢٣ وما بعدها. بتصرف

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد. الغزالي. ص ١١٣. تحقيق وتعليق أ.د سامي عفيفي حجازي.

بالحنجرة، والأحبال الصوتية، فتقسمه عضلات الصوت إلى نغمات، وأصوات، وحروف إن تمت في كتاب الله سُميت هذه العملية منه (قراءة)، والقراءة التي هى حروف، وأصوات إنما تدل على كلام الله القديم تمامًا كما دلت عليه الحروف المرسومة في المصاحف، والمدلول عليه هنا هو (المقروء)، والعاقل يستطيع بقليل من التدبر أن يفرق بين هذين اللفظين، ومدلولهما ، إنه يستطيع أن يفرق بين القراءة التي هي الأصوات، والحروف في محل النطق ، والمقروء الذى هو كلام الله القديم، والمدلول عليه بالقراءة، على أن هناك لفظ ثالث هو (القرآن) وهذا اللفظ لفظ مشترك يطلق على القراءة التي هى الألفاظ، والأصوات فى محل النطق، ويطلق على المقروء الذي هو كلام الله القديم، فإن أراد المتحدث بكلمة(قرآن) المستخدم لها ما يجرى على الألسنة، ويقع فى محل النطق كان مريدًا للقراءة الحادثة، وإن أراد (المقروء) كان مريدًا لكلام الله القديم"[١]

يقول الباقلاني:" وأعلم أن مذهب أهل الحق، والسنّة، والجماعة أن كلام الله القديم ليس بمخلوق، ولا محدث، ولا حادث، ولا خلق، ولا مخلوق، ولا جعل، ولا مجعول، ولا فعل، ولا مفعول، بل هو كلام أزلي، أبدي، هو متكلم به في الأزل، كما هو متكلم به فيما لا يزال، لا أول لوجوده، ولا آخر له، وأنه يجب التفرقة بين القراءة، والمقروء، والتلاوة والمتلو، والكتابة، والمكتوب، والحفظ، والمحفوظ، ولا يجوز أن يطلق على كلامه شيء من أمارات الحدث من حرف، ولا صوت"[٢]

ونخلص من كلام العز بن عبد السلام في هذا المطلب إلى تأكيد:

(١)الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي عرض وتحليل. أ.د طه الدسوقي حبيشي.ص ٢٥١.

(٢)الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. الباقلاني. ص ٦٧.

- إن جهاد أهل المذهب الحق من الأشعرية والماتريدية ضد شبه الحشوية، والمجسمة، وغيرهم من الفرق الأخرى قديم قدم البحث في علم الكلام ذاته.

- إن مسألة كلام الباري -تعالى- من أكثر المسائل التي كثر الخلاف حولها بين أهل السنة وغيرهم من المذاهب الاخرى خصوصًا الحشوية، والتي انتصر فيها العز لمذهب أهل السنَّة والجماعة، واستطاع من خلال عرضه الهادف لحيثيات هذه المسألة إبطال شبه الحشوية حولها.

أهم النتائج، والتوصيات

بعد هذا العرض لما اشتمل عليه هذا البحث من مسائل، وقضايا أود أن أشير في لمحات سريعة إلى أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث، متبوعة ببعض التوصيات، وذلك فيما يلي:

أولًا النتائج:

١- يظهر جليًا تأثر سلطان العلماء "العز بن عبد السلام" برأي أهل السنَّة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية في مسألة الصفات الإلهية، وهذا ما ثبت واتضح من خلال مقارنة بعض النصوص بين سلطان العلماء وأئمة المذهب الأشعري.

٢-كما يظهر تأثُّر"العز بن عبد السلام" في عرضه لآرائه العقدية بطريقة المتكلمين، خصوصًا طريقة الشيخ الأشعري، والقاضي الباقلاني، وإمام الحرمين الجويني، وغيرهم.

٣- إعتماد "العز بن عبد السلام" على منهجيٍّ التفويض فيما يتعلق بمسألة استواء الله على العرش، ومنهج التأويل فيما يتعلق بمسألة القرب الإلهي مع بعده التام عن مذهب الحشوية من أهل الإثبات.

٤- نقده لمذهب الحشوية في فهمهم لمسائل العقيدة ، وقد بدا ذلك جليًا في مناقشتهم لصفة الكلام الإلهي، وإيراد الشبه،والرد عليها.

٥- إقراره التام بقصور العقل البشري عن إدراك كنه الصفات الإلهية، ناهيك عن إدراك ذاته، وهذا القصور مسلم به بين السلف والخلف، ولذا فلابد من نبذ التعصب للمذاهب، وإيجاد نقاط للاتفاق فيما بينهم.

ثانيًا التوصيات:

١- الاهتمام بالأبحاث العلمية التي توضح مدى أصالة الفكر الأشعري، وأصالة آراء علمائه في عقول العلماء الأوائل من الفقهاء، والمحدثين، أو غيرهم من أهل العلم الذين هم غالبية علماء الأمة الإسلامية.

٢- يوصي البحث كل باحث بالاهتمام برصد المحاولات التي يجريها البعض لتشويه مذهب أهل السنة والجماعة من الأشعرية والماتريدية، ورصد أفكار رجالاتها سواءً عند الفرق الكلامية، أو المذاهب الفكرية المختلفة، وتبين مدى مخالفتها لمذهب أهل السنة والجماعة، وهذا ما نجح فيه العز بن عبد السلام حين وشى به حشوية عصره إلى السلطان الأشرف فما يتعلق بكلام الباري تعالى.

٣- لا زال البحث في قضايا العقيدة عند علماء الأمة من أرباب العلوم المختلفة كالفقه، والتفسير، والحديث، وغيرها من العلوم يحتاج إلى أبحاث أخرى مستقلة.

فهرس المصادر، والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر والمراجع الأخرى

١- أبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي. تحقيق .د: أحمد محمد المهدي، ط٢/ دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٤هـ.

٢- أبو الفرج بن الجوزي وآراءه الكلامية والأخلاقية: د. آمنة محمد نصير دار الشروق. ١٤٠٧ هـ

٣- إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين. كمال الدين أحمد البياضي. تعليق: أحمد فريد المزيدي، ط. الأولى/دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٨هـ.

٤- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم. القاضي عياض. تحقيق د/ يحيي إسماعيل، ط. دار الوفاء للطباعة والنشر. ط. الأولى ١٩٩٨م.

٥- الإبانة عن أصول الديانة.الأشعرى. تحقيق د/ فوقية حسين محمود . ط. دار الأنصار، ط ١ ، ١٣٩٧هـ.

٦- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. الجويني .تحقيق محمد يوسف موسى، على عبد المنعم عبد الحميد.مكتبة الخانجي القاهرة.١٩٥٠م.

٧- الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً. الشنقيطي.الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط.الخامسة١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٨- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبي بكر البيهقي . تحقيق: عبد الله بن محمد الصديق الغماري، ط. دار العهد الجديد، ١٣٧٩هـ.
٩- الأعلام. خير الدين الزركلي. الناشر دار العلم للملايين. ط : الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.
١٠- الاقتصاد في الاعتقاد.الغزالي.تحقيق وتعليق أ.د سامي عفيفي حجازي. ط الأولى١٤١٦هـ.دار الطباعة المحمدية.
١١- الأيوبيون بعد صلاح الدين. عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر.ط. الأولى.عدد الأجزاء: ١.
١٢- البدر الطالع. محمد بن على الشوكانى . نشر: دار المعرفة – بيروت. بدون تاريخ.
١٣- التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. الإسفراييني. تحقيق : كمال يوسف الحوت. الناشر: عالم الكتب. بيروت. ط الأولى ، ١٩٨٣م. الأجزاء : ١.
١٤- التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض، للحسن بن أحمد بن متويه النجراني المعتزلي.. تحقيق: د/ سامي نصر، وفيصل بدر عون. الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر.
١٥- التعليقات الميسرة على شرح الجوهرة، أ.د حسن محرم الحويني. مكتبة الإيمان للطباعة والنشر. والتوزيع. العجوزة. القاهرة. ط الأولى ١٤٣٧هـ.
١٦- التمهيد لقواعد التوحيد لأبي المعين النسفي ص .تحقيق د: جيب الله حسن، ط الأولى. دار الطباعة المحمدية،١٤٠٦هـ
١٧- الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي عرض وتحليل. أ.د طه الدسوقي حبيشي. مطبعة الرشوان.١٩٨٨م.
١٨- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للشيخ زكريا بن محمد الأنصاري. تحقيق: د.مازن المبارك،ط.الأولى/دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، (١٤١١هـ)

١٩- الحدود .ابن سينا. تحقيق:آن ماري جيشيون، الناشر/ المعهد الفرنسي للآثار الشرقية،(١٩٦٣)م

٢٠- الحياة الأدبية فى مصر العصر المملوكى والعثمانى. د. محمد عبد المنعم خفاجى. نشر: مكتبة الكليات الأزهرية. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. بن حجر العسقلاني. تحقيق: د. سالم الكرنكوي، الناشر. ط. مجلس -دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ١٩٧٢م.

٢٢- الذيل التام على دول الإسلام. شمس الدين السخاوى. حققه حسن إسماعيل مروة، نشر: مكتبة العروبة- الكويت، دار ابن العماد - بيروت.ط الأولى. ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٣- السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي .د/ محمد سعيد رمضان البوطي. ط دار الفكر . دمشق سوريا . ط. الأولي م١٩٨٨.

٢٤-السيف الصقيل في الرد علي ابن زفيل .تقي الدين السبكي.تحقيق : محمد زاهد الكوثري. ط المكتبة الأزهرية للتراث.

٢٥- الشامل في أصول الدين. أبو المعالي الجويني. تحقيق: على سامي النشار.فيصل بديرعون. سهير محمد مختار. طبعة منشأة المعارف. الأسكندرية.١٩٦٩م.

٢٦- العرب والتتار د.إبراهيم أحمد العدوى. المؤسسة المصرية العامة للتأليف. ١٩٦٣م.بتصرف.

٢٧- العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير. د. عبد الوهاب بن إبراهيم الوهيبي. ط الثانية ١٩٨٢م.

٢٨- القول السديد في علم التوحيد، الشيخ محمود أبو دقيقة. تحقيق أ.دعوض الله حجازي.مطابع الأزهر.

٢٩- الكليات لأبي البقاء الكفوي .تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري. دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. الأجزاء ١.

٣٠- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. الأشعري. صححه،وقدم له، وعلق عليه. د حمودة غرابة، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط الأولى ١٤٣١هـ
٣١- المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك. د. سعيد عبد الفتاح عاشور.. نشر: دار النهضة العربية. ١٩٩٢م.
٣٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي. الناشر : المكتبة العلمية – بيروت. الأجزاء : ٢.
٣٣- المعجم الوسيط .إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر.تحقيق. مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة. الأجزاء ٢.
٣٤- المقصد الأسني في شرح اسماء الله الحسنى . أبي حامد الغزالي.تحقيق : محمد عثمان الخشت ، الناشر : مكتبة القرآن للطبع والنشر –بالقاهره ، بدون تاريخ.
٣٥- المِلحَة في اعتقاد أهل الحق ضمن كتاب رسائل في التوحيد. العز بن عبد السلام.تحقيق. إياد خالد الطباع . ط دار الفكر المعاصر. دمشق.ط الأولى ١٤١٥هـ
٣٦- الملل والنحل. الشهرستاني. تحقيق : محمد سيد كيلاني. الناشر: دار المعرفة- بيروت، ١٤٠٤ هـ. الأجزاء ٢.
٣٧- المواقف.عضد الدين الإيجي.. تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة. الناشر: دار الجيل – بيروت. ط الأولى ، ١٩٩٧. الأجزاء : ٣.
٣٨- آيات الأسماء والصفات. محمد الشنقيطي، تحقيق: عطية محمد سالم، ط الدار السلفية الكويت، ط. الرابعة:١٤٠٤هـ،
٣٩- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل. بن جماعة . تحقيق : وهبي سليمان. الناشر. دار السلام .ط. الأولى. ١٩٩٠م،
٤٠- إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام.بقلم محمد بن عبد العزيز حكاية عن أبيه. ط المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة.٢٠٠٦م.
٤١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز .الفيروزآبادي . تحقيق الأستاذ: محمد علي النجار، ط٣/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٤٢- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالعقيدة الطحاوية لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ط. الأولى.دار ابن حزم ، بيروت لبنان، ١٤١٦هـ
٤٣- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. شمس الدين الذهبي..المحقق الدكتور بشار عوّاد معروف.الناشر دار الغرب الإسلامي. ط: الأولى ٢٠٠٣ م.الأجزاء:١٥.
٤٤- تأويل مختلف الحديث. بن قتيبة. تحقيق : محمد زهري النجار.الناشر: دار الجيل- بيروت ، ١٩٧٢م.
٤٥- تأويلات أهل السنة. أبو منصور الماتريدي.المحقق: د. مجدي باسلوم. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤٦- تفسير القرآن العظيم. بن كثير. تحقيق. سامي محمد سلامة.الناشر. دار طيبة .ط : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
٤٧- جامع البيان في تأويل القرآن.الطبري .المحقق: أحمد محمد شاكر.ط. مؤسسة الرسالة.ط الأولى،١٤٢٠هـ.
٤٨- حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين للعلامة محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٥٨هـ.
٤٩- حاشية الشيخ عبد الله الشرقاوي على شرح الهدهدي على صغرى السنوسي . ط/ مصطفى البابي الحلبي، ١٣٣٨هـ.
٥٠- حاشية الشيخ محمد السباعي على شرح الشيخ الدرديري علي خريدته في التوحيد. الناشر : المطبعة العامرة المليجية. ط. الأولى . ١٣٣١هـ .
٥١- زبد خلاصة التصوف(حل الرموز ومفاتيح الكنوز). العز بن عبد السلام.
تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق على وهبة. ط مكتبة الثقافة الدينية القاهرة. ط الأولى ١٤٣٠هـ.
٥٢- سلطان العلماء وبائع الأمراء.د. على محمد الصلابي.ط المكتبة العصرية بيروت. الأجزاء ١. بدون.
٥٣- سير أعلام النبلاء. الذهبي. .المحقق. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الناشر مؤسسة الرسالة.ط الثالثة، ١٤٠٥ هـ. الأجزاء ٢٥.

٥٤- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام. تحقيق أحمد فريد المزيدى . ط دار الكتب العلمية بيروت.ط الأولى ١٤٢٤هـ.
٥٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. عبد الحي الحنبلي..تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط.الناشر دار بن كثير ١٤٠٦هـ. دمشق. الأجزاء ١٠.
٥٦- شرح الصاوي على جوهرة التوحيد. أحمد بن محمد المالكي الصاوي..تحقيق د/ عبد الفتاح البزم. دار ابن كثير. دمشق. بيروت. ط الثانية. ١٩٩٩م.
٥٧- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية. محمد الصالح عثيمين..المجلد الثاني. ط دار ابن الجوزي. السعودية..ط السادسة ١٤٢١هـ.
٥٨- شرح الفقه الأكبر للماتريدي..مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الهند، (١٣٢١)هـ.
٥٩- شرح المقاصد في علم الكلام.السعد التفتازاني. تحقيق: عبد الرحمن عميرة.تصدير فضيلة الشيخ صالح شرف. ط. عالم الكتب. بيروت. ط٢، ١٩٩٨م.بتصرف يسير.
٦٠- شرح المقدمات للسنوسي. تحقيق: نزار حمادي، ط الأولى.مكتبة المعارف، بيروت لبنان، ١٤٣٠هـ.
٦١- طبقات الشافعية . أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة. تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان. دار النشر: عالم الكتب. بيروت. ١٤٠٧ هـ،.ط. الأولى. الأجزاء ٤.
٦٢- طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين السبكي. تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو. دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ. ط ٢.
٦٣- طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي المالكي . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. عدد الأجزاء: ٢.
٦٤- طوالع الأنوار من مطالع الأنظار.البيضاوي.تحقيق الدكتور: محمد ربيع جوهري، ط.الأولى/ دار الاعتصام، ١٩٩٨م.

٦٥- فتح القدير .للشوكاني. تحقيق د. عبد الرحمن عميرة . ط.دار الوفاء:المنصورة. ط١ ١٤١٥هـ .

٦٦- كشاف اصطلاحات العلوم والفنون .التهانوي . تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم.تحقيق: د. علي دحروج. الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت. ط الأولى – ١٩٩٦م. الأجزاء: ٢.

٦٧- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة. الجويني. تحقيق: د.فوقية حسين.الناشر: عالم الكتب – بيروت. ط الثانية ، ١٩٨٧م.

٦٨- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين. تحقيق: فهد بن ناصر بن إبراهيم.الناشر : دار الوطن- دار الثريا. ط :١٤١٣ هـ. الأجزاء : ٢٠

٦٩- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي،قدم له طه عبد الرؤف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية.

٧٠- هوامش على الاقتصاد في الاعتقاد .د. محمد عبد الفضيل القوصي.ط٢.مكتبة الإيمان، ١٤٢٦هـ.

٧١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. شمس الدين بن خلكان. المحقق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر- بيروت.١٩٠٠م. الأجزاء : ٧

فهرس الموضوعات

الموضوع

المقدمة وتشتمل على خطة البحث
المبحث الأول: عصر سلطان العلماء العز بن عبد السلام وحياته، أولًا عصره: ويشتمل على لمحة مختصرة عن عصره
ثانيًا حياته، وتشتمل: المطلب الأول: اسمه، لقبه، كنيته، نسبته، مولده، نشأته.
المطلب الثاني: طلبه للعلم، وجرأته في قول الحق
المطلب الثالث: شيوخه.
المطلب الرابع: تلاميذه
المطلب الخامس: مؤلفاته ووفاته
المبحث الثاني: الصفات السلبية عند سلطان العلماء العز بن عبد السلام، ويشتمل على: المطلب الأول: تعريف الصفات السلبية وموقف العلماء منها، ورأى العز فيها
المطلب الثاني:حديث العز بن عبد السلام عن التنزيهات
المطلب الثالث: حديث العز بن عبد السلام عن الحشوية، ورأيه في مسألة الاستواء، وقرب الباري تعالى
المبحث الثالث: صفات المعاني، وصفات الفعل عند سلطان العلماء "العز بن عبد السلام"، ويشتمل على مطلبين المطلب الأول: تعريف صفات المعاني والفعل، ورأى العز فيهما
المطلب الثاني صفة الكلام عند العز بن عبد السلام
النتائج والتوصيات
فهرس المصادر والمراجع